سياسة العبّاسيّين تجاه الشّيعة الحسنيّين حتّى موقعة فخ

(١٣٢-١٦٩هـ/٧٤٩-٧٨٦م)

The policy of the Abbasids towards the Hasani Shiites until the Battle of Fakh (132-169H/749-786 AD)

إعداد

د. عامر أحمد القبّج

Dr. Amer A. Al-Qobbaj

أستاذ مشارك، قسم التَّاريخ، كليَّة العلوم الإنسانيَّة والتربويَّة، جامعة النَّجاح الوطنيَّة، نابلس، فلسطين

Doi: 10.21608/ajahs.2024.365873

استلام البحث ٥ / ٥ / ٢٠٢٤

قبــول البحث ٢ / ٦ / ٢٠٢٤

القبَّج، عامر أحمد (٢٠٢٤). سياسة العبّاسيّين تجاه الشّيعة الحسنيّين حتّى موقعة فخ (١٣٢-١٦٩هـ/٧٤٩-٧٨٦م). ***المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨(٣٢)، ٣٠٥ – ٣٣٨.

http://ajahs.journals.ekb.eg

سياسة العبّاسيّين تجاه الشّيعة الحسنيّين حتّى موقعة فخ (١٣٢-١٦٩هـ/٧٤٩-٧٨٦م)

المستخلص:

تسلِّط هذه الدِّراسة الضَّوْءَ على سياسة العبّاسيّين تجاه شيعة الفرع الحسنيِّ منذ قُبيل قيام دولتهم عام ١٣٢هـ/٧٤٩م حتى موقعة فخ عام ١٦٩م/٧٨٦م. فاشتملت على مقدّمة تمهيديَّة حول الجذور التّاريخيَّة للصِّراع الشّيعيِّ مع مؤسَّسة الخلافة حتّى ظهور الحسنيّين على مسرح الأحداث السِّياسيَّة، ثم تطرَّقت إلى استغلال زعماء بني العبّاس للحسنيّين من أجل إقامة الدَّولة العبّاسيَّة، وتنكُّرهم لهم بعد ذلك، كما تحدَّثت عن المعاملة الحسنة التي نالها الحسنيّون في عهد الخليفة أبي العبّاس السَّفاح، ثمَّ السِّياسة المتشدِّدة التي مارسها أبو جعفر المنصور ضدَّهم، ما أدّى إلى نشوب ثورة محمَّد بن عبد الله الحسنيِّ ومقتله عام ١٤٥هـ/٧٦٢م، وبعد ذلك تناولت أوضاعَ الحسنيّين في عهد الخليفة المهديِّ حتّى مذبحة فخ التي ارتكبها جيشُ الخليفة الهادي بحقِّ الحسين بن علي الحسنيِّ، وراح ضحيَّتها ومئات القتلى والجرحى من شيعته. وتوصَّلت الدِّراسة إلى أنَّ جذور الصِّراع بين العلويّين تعود إلى الفترة الأمويَّة، وبخاصَّة بعد موقعة كربلاء عام ٦١هـ/٦٨٠م، وإلى نجاح العبّاسيّين في استغلال الشّيعة الحسنيّين لصالح دعوتهم السِّرِّية، ثم انقلبوا عليهم وتنكَّروا لهم، واتَّبعوا سياسة متشدِّدة تجاههم، ما أدّى إل نشوب عديدٍ من الثَّورات الحسنيَّة ضدَّهم. ولا تزال آثار تلك النِّزاعات، التي استمرَّت خلال الفترات اللاحقة، تلقي بظلِّها على حاضرنا العربيِّ والإسلاميِّ إلى يومنا هذا.

كلمات مفتاحيَّة: العباسيّون، بنو الحسن، عبد الله المحض، محمَّد النَّفس الزَّكيَّة، الهادي، الحسين بن علي.

Abstract:

This study sheds light on the policy of the Abbasids towards the Shiites of the Hasanids since before the establishment of the Abbasid state in 132AH/749AD until the Battle of Fakh in 169AD/786AD. It included a preface about historical roots of the Shiite conflict with the Caliphate institution until the emergence of the Hasanids on the scene of political events, and then it touched on the Abbasid leaders' exploitation of the Hasanids in order to establish the Abbasid state, and their disavowal of them after that. I also talked about the good treatment that the Hasanids received during the reign of Al-Saffah, and then the extremist policy that Abu Jaafar Al-Mansur practiced against

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

them, which led to the outbreak of the revolution of Muhammad bin Abdullah Al-Hasani and his death in 145AH/762AD. After that, I discussed the situation of the Hasanids during the reign of the Al-Mahdi until the Fakh massacre committed by the army of the Al-Hadi against Al-Hussein bin Ali Al-Hasani and his followers, and that the Abbasids succeeded in exploiting the Hasanids for the benefit of their secret mission, then they turned against them, disavowed them, and followed a strict policy towards them, which led to the outbreak of many Hasanid revolutions against them. The effects of those conflicts, which continued during subsequent periods, continue to cast a shadow over our Arab and Islamic present to this day.

Keywords: Abbasids, Hasanids, Abdullah Al-Mahd, Muhammad Al-Nafs Al-Zakia, Al-Hadi, Al-Hussein bin Ali.

تمهيد

أُطلق مصطلحُ الشّيعة على أنصار الخليفة الرّاشديّ الرّابع عليّ بن أبي طالب (٣٥-٤٠هـ/٦٥٦-٦٦١م) ومؤيّديه، الذين تمسّكوا ببيعته بعد معركة صفّين عام ٣٧هـ/٦٥٧م ضدَّ معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦٢-٦٨٠م)، وبيَّن الشّهرستاني (١٩٩٢: ١/١٤٤) ذلك بقوله: "الشّيعة هم الذين شايعوا عليّاً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصيَّة[1]، إمّا جليّاً، وإما خفيّاً، واعتقدوا أنَّ الإمامة لا تخرج من أولاده، وإنْ خرجت فبظُلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده". ونادى الشيعة بإبقاء الخلافة في بيته، لاعتقادهم بأحقية عليٍّ دون غيره بالإمامة والخلافة بعد وفاة الرسول(ص) (ابن خلدون ٢٠٠٤: ١/٤٠٩). ومن ناحيةٍ أخرى، فما أنْ تناهت أخبارُ مقتل عليّ بن أبي طالب، في المدينة المنوَّرة عام ٤٠هـ/٦٦١م إلى مسامع والي الشام معاوية بن أبي سفيان، حتّى بدأ بالاستعداد لتولّي الخلافة، مستغلاً ولاء أهل الشام له، وشعبيَّته بينهم، فتلقَّب بأمير المؤمنين، بعد أن كان يُدعى بالأمير (الطَّبري، د. ت: ٥/١٦٠)؛ وذلك من أجل استباق الأمور، وقطع الطَّريق أمامَ أبي محمَّد، الحسن بن علي (ت. ٤٩هـ/٦٦٩م) (عن مناقبه ومكانته؛ يُنظَر: المُحَلِّي، ٢٠٠٢: ١/١٥٢-١٥٦؛ السَّمرقندي د. ت: ١٩-٢١) وشيعته في الكوفة، الذين كانوا يتحفَّزون هم الآخرون من أجل مبايعته للخلافة، وذكر الطَّبري أنَّ أولَّ من دعا إلى

[1] الوصيَّة: مصطلحٌ فارسيٌّ ساسانيُّ الأصل، استخدمه الأكاسرةُ السّاسانيّون بهدف تكريس النَّمط الوراثي في تداوُل الحكم في أعقابهم، واستخدمه الخلفاءُ المسلمون تجاهَ أولياء عُهودهم؛ تأثُّراً بالشّيعة (إسماعيل ٢٠١٦: ٦٨).

ISSN : *2537-0421* eISSN : *2537-043X*

بيعة الحسن كان قيسُ بن سعد بن عُبادة الخزرجي الأنصاري(ت. ٥٩هـ/٦٧٩م) (الطَّبري د. ت: ١٥٨/٥)، ابن زعيم الأنصار، الذي تمَّ استبعاده من المشهد السِّياسيِّ في اجتماع سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول(ص) عام ١١هـ/٦٣٢م.

ومن أجل البدء بمراسيم البيعة، خرج الحسنُ إلى المسجد الجامع، فخطب بالنّاس خطبةً طويلةً (اليعقوبي ٢٠١٠: ١٢١/٢)، ذكَّرهم فيها بوصيَّة أبيه "بالإمامة إلى ابن رسول الله(ص) وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه"، وقصد بهذا نفسَه (المُحَلِّي ٢٠٠٢: ١٦٧/١)، ودعاهم إلى بيعته، على كتاب الله وسنَّة رسوله، والسَّمع والطاعة، ومسالمة من سالم ومحاربة من حارب، وأفاد الطَّبري (د. ت: ١٥٨/٥، ١٦٢) أنَّ العراقيّين، وقصد بهم أهل الكوفة، بعد مبايعته، ارتابوا من الشَّرط الأخير، وفهموا منه أنَّ الحسن يميل إلى السَّلم مع معاوية ولا يرغب بمحاربته، و"أراد أن يأخذ ما استطاع من معاوية، ثمَّ يدخل في الجماعة". فطعنوه "طعنةً أشوته"، أي آلمته؛ فازداد لهم بغضاً وتوجَّس من نواياهم خوفاً. وعلى الرَّغم ممّا حصل؛ بدأ الحسنُ يمارس سلطاته كخليفة للمسلمين، فأقرَّ عمّال أبيه في الولايات، ووردت عليه بيعةُ أهل مكَّة والمدينة والبصرة واليمامة والبحرين، ومن أجل كسب ولاء الجند زادهم عند البيعة مائة دينار، فتبعه الخلفاءُ على ذلك، وهو أصلُ ما سمِّي مال البيعة (المُحَلِّي ٢٠٠٢: ١٦٧/١-١٦٨).

ودعا الحسنُ معاويةَ وأهل الشّام إلى مبايعته، فامتنعوا؛ لأنَّ معاويةَ كان يرى أنَّه الأحقّ بخلافة علي (الطَّبري د. ت: ١٥٩/٥)، فانقسمت الأمَّة إلى قسمين متنافسين: أهل الشّام بقيادة معاوية، وأهالي الولايات الأخرى بقيادة الحسن. وخلال فترة حُكم الأخير، تبادل الطَّرفان السُّفراء وجرت بينهما مراسلات (للتَّفاصيل؛ ينظر: المُحَلِّي ٢٠٠٢: ١٦٩/١-١٧٣). وعندما وصلت الأمور إلى طريقٍ مسدودٍ سار الحسنُ للقاء معاويةَ على رأس جيشٍ من اثني عشر ألفاً، بقيادة قيس بن سعد حتّى نزل المدائن على نهر دجلة، وأقبل معاويةُ في أهل الشّام حتّى نزل بموضع يُقال له مسكِن (اليعقوبي ٢٠١٠: ١٢١/٢؛ الطَّبري د. ت: ١٥٩/٥)، في أرض السَّواد بناحية الأنبار (ابن خيّاط ١٩٨٥: ٢٠٣)، على حدود بلاد فارس، وعلى بُعد ثلاثة عشر فرسخاً من بغداد (البكري د. ت: ١٩٧/١؛ الحميري ١٩٨٤: ٣٦). وخلال وجود الحسن في المدائن نهب العراقيّون معسكرَه، وأصابوه بجرحٍ غائر؛ فسخط عليهم واشتدَّ غيظُه، وذكَّرهم بقتل أبيه، وقرَّعهم بسبب سلوكهم تجاهه (اليعقوبي ٢٠١٠: ١٢٢/٢؛ الطَّبري د. ت: ١٥٩/٥).

ويتَّضح ممّا ذُكر أنَّ القاعدة الشَّعبيَّة للحسن في الكوفة لم تكن قويةً بما يكفي لمواجهة معاوية وجيشه، فضلاً عن أنَّ موازين القوى العسكريَّة لا تميل لصالحه، فبعث إلى معاوية كتاباً يطلب الصُّلح (اليعقوبي ٢٠١٠: ١٢٢/٢)، ولما وصل الكتابُ أرسل معاويةُ إليه رسولين، قدما إلى المدائن، بهدف التَّباحث في شروط التَّنازل عن

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الحُكم (الطَّبري د. ت: ١٥٩/٥)، وتمَّ الاتِّفاق على أنْ يحتفظَ الحسنُ بما في بيت مالِه في الكوفة، وأنْ يكونَ له خراج دارأبجرد[٢]، وأنْ يتوقَّف أنصارُ معاوية عن شتمِ عليِّ بن أبي طالب. وحينها أمر الحسنُ قيسَ بن سعد بالدَّخول في طاعة معاوية، فقام قيسٌ وقال: "يا أيُّها النّاس: اختاروا الدُّخول في طاعة إمام ضلالة أو القتال مع غير إمام، قالوا لا بل نختار أن ندخلَ في طاعةِ إمامِ ضلالة، فبايعوا لمعاوية" (الطبري د. ت: ١٦٠/٥). ثم اجتمع الحسنُ بمعاوية بمسكِن، وسلَّمه الأمرَ، وذلك في شهر ربيع الآخر (أغسطس) أو جمادى الأولى (سبتمبر) عام ٤١هـ/٦٦١م (ابن خيّاط ١٩٨٥: ٢٠٣)، وقيل في ٢٥ربيع الأوَّل/٢٨يوليو من العام المذكور (الطَّبري د. ت: ١٦٣/٥)، "واجتمع النّاس على معاوية"، فسمِّي ذلك العام بعام الجماعة. وكانت ولاية الحسن سبعةُ أشهر وسبعة أيّام (ابن خيّاط ١٩٨٥: ٢٠٣). وأشار المُحَلِّي (٢٠٠٢: ١٨٠/١) أنَّ الحسنَ تنازل لمعاوية على أن يكونَ الأمر بعد الأخيرِ شورى بين المسلمين.

ودخل معاويةُ الكوفة وبايعُه أهلُها. ومن ناحية أخرى؛ بدت روايات الطَّبريّ متناقضةً فيما يتعلَّق بوفاء معاوية للحسن بالشُّروط؛ ففي الوقت الذي قال فيه أنَّ الحسن أخذ ما في بيت ماله بالكوفة، وكان فيه خمسة آلاف ألف (الطبري د. ت: ١٦٠/٥)، ذكر في موضعٍ آخر أنَّ معاوية لم ينفِّذ له من الشُّروط شيئاً (الطَّبري د. ت: ١٦٢/٥-١٦٣). ولاقى تنازلُ الحسن معارضةً من جانب عديدٍ من قيادات شيعته وأنصاره، وفي مقدِّمتهم أخوه الحُسين، الذي كان يرى أنَّهما أوْلى بالحُكم من بني أميَّة (البلاذري، ١٩٩٦: ٣٦٣/٣)، ولامهُ على قراره، وقال له: "نشدتُك اللهَ أن تصدِّق أُحدوثة معاوية وتكذِّب أُحدوثة علي!. فقال له الحسن: اسكت فأنا أعلم بالأمر منك" (الطبري د. ت: ١٦٠/٥)، وتعذَّر بقلَّة عدد أنصاره، فردَّ عليه الحسينُ: "لَو لمْ نكنْ إلا في ألف رجلٍ لكان ينبغي لنا أنْ نقاتلَ عن حقِّنا حتّى ندركه أو نموت وقد أعذرنا" (المُحَلِّي، ٢٠٠٢: ١٨٠/١)، ولمّا خرج الحسنُ من الكوفة إلى المدينة، تلقّاه البعضُ في القادسيَّة، وصاحوا بوجهه: "يا مُذلَّ العرب" (الطَّبري د. ت: ١٦٥/٥)؛ تعبيراً عن سُخطهم من تنازله عن الخلافة لمعاوية. واستقرَّ الحسنُ في المدينة حتّى وفاته عام ٤٩هـ/٦٦٩م، بالسُّم بوساطة امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس، بتدبيرٍ من معاوية، ودُفن في البقيع، وكان سنُّه حينذاك ستةٌ أو سبعةٌ وأربعون (ابن خيّاط ١٩٨٥: ٢٠٣).

وبعد وفاة الحسن بقي أخوه الحسينُ وأنصارُه، فضلاً عن قوى أخرى في العراق والحجاز، ينتظرون الفرصة من أجل الوصول إلى السُّلطة، ولمّا أدرك معاويةُ خطورة ذلك، عيَّن ابنَه يزيداً وليّاً لعهده عام ٥١هـ/٦٧١م؛ بهدف المحافظة على

[٢] دارأبجرد: من كُور فارس، بينها وبين شيراز مائةٌ وخمسون ميلاً. بناها دارا بن بهمن المجوسيّ، وأُحيطت بسور. اشتُهرت في العصر الإسلاميّ بكثرة منتجاتها الزراعيَّة ورواج تجارتها، حتّى أصبحت مجتمعاً للتُّجّار (الحميري ١٩٨٤: ٢٣٤).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

منصب الخلافة وراثيّاً في بيته (ابن خيّاط ١٩٨٥: ٢١٣)، ما أدّى إلى تفجير الموقف وحدوث تمرُّدات على الدَّولة احتجاجاً على هذا القرار. وبعد وفاة معاوية وتولّي ابنه يزيد (٦٠-٦٤هـ/٦٨٠-٦٨٤م) الحُكم، أصبح ولاءُ شيعة آل عليٍّ يأخذُ طابَعاً حزبيّاً وسياسيّاً ودينيّاً على حدٍّ سواء، فثار الحسينُ بن عليٍّ في كربلاء، في ١٠محرَّم٦١هـ/٩أكتوبر٦٨٠م، حيث قُتلَ وعددٌ من أنصاره على يد الجيش الأموي (ابن خيّاط ١٩٨٥: ٢٣٤-٢٣٥). وطفق شيعةُ الحسين يعظِّمون شهداء كربلاء وأرضها، التي أطلقوا عليها: حرم الحسين والتُّربة الحسينيَّة، وقدَّسوها حتّى أنَّهم اعتقدوا أنَّ كلَّ ركعةٍ فيها تُعادل ألف حجَّة (الغامدي، ١٤٣١هـ: ٤٨٦).

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ موقعة كربلاء وما تمخَّض عنها من نتائج، شكَّلت حلقةً فاصلةً في تاريخ النِّزاع بين العلويّين والمؤسَّسة الرَّسميَّة خلال الحِقب اللاحقة، وأدَّت إلى نموِّ روح التَّشيع وازدياد عدد أنصاره، إلا أنَّه يتَّضح من المصادر التّاريخيَّة أنَّ أئمَّة بني الحسين قد تقاعسوا عن الثّأر لمقتله، ووقفوا موقف المُهادن تجاه الأمويّين، فاستغلَّت بعضُ القوى الحجازيَّة النّاقمة على الأمويّين الأمر، وثارت ضدَّهم، لدوافع مختلفة، تحت شعار الانتقام لمقتل الحسين وأتباعه[٣]. واستمراراً للموقف الحُسينيِّ المهادن للأمويّين؛ فقد امتنع عليُّ بن الحسين الملقَّب بالسَّجّاد(ت. ٩٤هـ/٧١٣م)[٤] عن المطالبة بالخلافة، ونصح عمَّه محمَّد بن عليّ بن أبي طالب (محمَّد ابن الحنفية)(ت. ٨١هـ/٧٠٠م)[٥] بعدم الاستجابة للضُّغوطات التي كانت تُمارس عليه من جانب بعض القوى الشّيعيَّة المطالِبة بها (المسعودي ٢٠٠٥: ٣\٦٧).

---

(٣) من الأمثلة على ذلك: قيام أهل المدينة بنقض بيعة الخليفة يزيد بن معاوية، فنكبهم في وقعة الحرَّة بجوار المدينة عام ٦٣هـ/٦٨٣م (للتَّفاصيل: ابن خيّاط ١٩٨٥: ٢٣٦-٢٣٩). وظهرت حركةُ التَّوابين بزعامة سليمان بن صرد الخزاعي(ت. ٦٥هـ/٦٨٥م)، ما أدّى إلى حدوث موقعة عين الوردة عام ٦٤هـ/٦٨٤م (للتَّفاصيل: المسعودي ٢٠٠٥: ٣/٨٢-٨٣). وتبنّى المختارُ بن عبيد الثَّقفي(ت. ٦٧هـ/٦٨٧م) الكيسانيَّة، التي تُنسَب إلى كيسان مولى عليٍّ بن أبي طالب، وأحد تلاميذ محمَّد بن الحنفيَّة(ت. ٨١هـ/٧٠٠م). وعُرف كيسانُ بين أتباعه بإحاطته بعلم التَّأويل والباطن وإيمانه بالتَّناسخ والحلول، والرَّجعة بعد الموت، تساوُقاً مع المعتقدات الفارسيَّة (الشَّهرستاني ١٩٩٢: ١/١٤٥). فضلاً عن ثورة عبد الله بن الزُّبير(ت. ٧٣هـ/٦٩٣م)، التي تمكَّن الأمويّون من إخمادها وقتْل زعيمها خلال عهد عبد الملك بن مروان(٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م) (للتَّفاصيل: ابن خيّاط ١٩٨٥: ٢٥٦-٢٦٩).

(٤) علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أمُّه هي حرار بنت كسرى الفرس يزدجرد الثّالث، كان له لمّا توفِّي ثمانية وخمسون عاماً، ووُصف بأنَّه كان من أفضل النّاس وأشدّهم عبادة، فسُمِّي بالسَّجّاد، وكان يطوفُ على الفقراء في الليل (اليعقوبي ٢٠١٠: ٢/٢٢٨-٢٢٩).

(٥) محمَّد بن الحنفيَّة، أبو القاسم محمَّد بن علي بن أبي طالب: وُلد عام ٢١هـ/٦٤٢م، وأمُّه هي الحنفيَّة بنت جعفر، من سبي اليمامة. كان كثير العلم والورع وقوَّة الجسم أيضاً، شارك في صفّين إلى جانب أبيه، وقيل أنَّه حمل الرّاية له ولم يقاتل، وتوفِّي عام ٨١هـ/٧٠٠م (ابن خلكان د. ت: ٤/١٦٩-١٧٢).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وسار أبو جعفر، محمَّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن علي(ت. ١١٤هـ/٧٣٢م)(٦) على سياسة أبيه السَّجّاد في التَّمسُّك بالإمامة الرّوحيَّة والابتعاد عن السِّياسة، فامتنع عن مواجهة السُّلطة الحاكمة بالقوَّة، واكتفى بانتهاج سياسة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر (الطوسي ١٣٦٥هـ: ١٨٠/٦)، والدَّعوة لمقاطعة الحاكم الجائر (المجلسي ١٩٨٣: ٣٧٥/٧٢). ولم تسجِّل الوقائع التّاريخيَّة في عهد هذا الإمام أيَّة ثورة شيعيَّة ضدَّ الأمويّين، الذين لم يتورَّعوا عن قتل إمام الشّيعة الكيسانيَّة أبي هاشم، عبد الله بن محمَّد بن الحنفية(ت. ٩٨هـ/٧١٧م)(٧) على يد الخليفة الأمويِّ سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٨م) عام ٩٨هـ/٧١٧م؛ بسبب قيام أبي هاشم بمنح وصيَّته وعهْده إلى محمَّدِ بن علي بن عبد الله بن عبّاس(ت. ١٢٦هـ/٧٤٤م)(٨) (اليعقوبي ٢٠١٠: ٢٢١/٢-٢٢٢). وربَّما كان الحسينيّون يدركون أنَّ ظروفَهم في ذلك الوقت غير ناضجة للمواجهة، فهادنوا السُّلطة الحاكمة في العلن، وناصبوها البُغض في الخفاء.

ظهور الحسنيّين على مسرح الصِّراع مع العبّاسيّين

ظهر الحسنيّون على مسرح الصِّراع مع مؤسَّسة الخلافة نتيجةً لعديدٍ من العوامل، أهمُّها ظهور فرقة الزَّيديَّة، التي ما كان لها أنْ تخرُج إلى حيِّز النّور لولا جهود زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي ثار ضدَّ الأمويّين عام ١٢٢هـ/٧٤٠م، انطلاقاً من مدينة الكوفة، التي كان من المُفترض أن تمثِّل الحاضنة الشَّعبيَّة الرَّئيسة لشيعة آل البيت. ويبدو أنَّ ثورته قد جاءت على خلفية السِّياسة السَّلبية التي انتهجها الأئمَّة الحسينيّين، وتقاعسهم عن مواجهة ظلم الأمويّين وممارساتهم تجاه العلويّين (بدوي ١٩٧٨: ١٣٦)، وأمّا القشَّةُ التي قصمت ظهر البعير وشكَّلت السَّبب المباشر لقيام الثَّورة الزَّيديَّة: قيام الخليفة الأمويِّ هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٣م) بتقليد يوسف بن عمر الثَّقفي(ت. ١٢٧هـ/٧٤٥م)(٩) إمارة

---

(٦) أبو جعفر، محمَّد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب: وُلِد عام ٥٧هـ/٦٧٧م، وأمُّه هي أم عبد الله بنت الحسن بن الحسين بن علي. كان عالماً وسيِّداً في قومه، وعُدَّ أحد الأئمَّة الاثني عشر، وتوفِّي بالحميمة عام ١١٤هـ/٧٣٢م (ابن خلكان د. ت: ١٧٤/٤).

(٧) أبو هاشم، عبد الله بن محمَّد بن علي بن أبي طالب: قدم على سليمان بن عبد الملك عام ٩٨هـ/٧١٧م فأكرمه، وسار يريد فلسطين، فأنفذ سليمان من قعد له بالطَّريق بلبن مسموم، ولمّا أحسَّ بدنوِّ أجله عدل إلى الحميمة، واجتمع بمحمَّد بن علي العباسيِّ ونقل وصيَّة الإمامة والخلافة إليه، وبخاصَّةٍ أنَّ أبا هاشم لم يعقِّب (ابن حزم د. ت: ٥٩؛ ابن خلكان د. ت: ١٨٨/٤).

(٨) محمَّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب: يكنى بأبي عبد الله، وهو والد السَّفّاح والمنصور، كان عظيم القدر مهاباً في قومه. وعندما حضرت أبا هاشم الوفاة أوصى بالأمر من بعده لمحمَّد بن علي، وصرف الشّيعة نحوه، وتوفي محمَّد بن علي عام ١٢٦هـ/٧٤٤م (ابن خلكان د. ت: ١٨٦/٤-١٨٧).

(٩) يوسف بن عمر بن محمَّد بن الحكم بن أبي عقيل: يُكنّى بأبي عبد الله، وهو ابن عمِّ الحجّاج، يجتمعان في الحكم بن أبي عقيل، ولّاه هشامُ بن عبد الملك على اليمن عام ١٠٦هـ، فلم يزل والياً بها حتّى كتب إليه هشام

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

العراق، وإصدار أوامره له باضطهاد الشّيعة، ففعل. وكان زيدُ بن علي قد أقام في الكوفة أربعة أشهر، من أجل حشد الأنصار. وعندما بدأ بثورته خذله أهلُ الكوفة؛ ولم يخرج معه منهم سوى مئتان وثمانية عشر رجلاً. وعندما علم الثَّقفيُّ بأمره، خرج على رأس جيشه، فوافاه خارج المدينة، وتمكَّن من سحق ثورته وقتله وعددٍ كبيرٍ من أنصاره (للتّفاصيل: الطَّبري د. ت: ٧/١٦٠-١٧٣).

أدّت هزيمةُ زيد بن علي إلى ظهور الفرقة الزَّيديَّة، التي أحدثت تحوُّلاً كبيراً في معايير اختيار الإمام، حيث جعلت منصبَ الإمامة مُتاحاً أمام أبناء فاطمة الزَّهراء الحسن والحسين، بعد أن كان حِكراً على الحسينيّين دون غيرهم. كما رفضت الزَّيديَّة مبدأ التَّعيين للإمام، واشترطت فيه العلم والزُّهد والشَّجاعة، والخروج بالسَّيف، فإذا فعل فعلى الأمَّة مبايعته ومؤازرته، كما أجازوا خروجَ إمامين يستجمعان هذه الخصال في قُطرين مختلفين (للتَّفاصيل: الشَّهرستاني ١٩٩٢: ١/١٥٣-١٥٦؛ الليثي ١٩٧٦: ٢٤٥-٢٥٠). وأتاحت مبادئ الزَّيديَّة وأفكارها فرصةً كبيرةً للحسنيّين للقيام بدورٍ فاعلٍ على الحلبة السِّياسيَّة، وظهر ذلك بشكلٍ جليٍّ عندما تولّى يحيى بن زيد بن علي[١٠] إمامة الزَّيديّين في خراسان، حيث أوصى بالإمامة من بعده لابنيّ الزَّعيم الحسنيِّ عبد الله المحض(ت. ١٤٥هـ/٧٦٢م)[١١]، وهما محمَّد النَّفس الزَّكيَّة(ت. ١٤٥هـ/٧٦٢م)[١٢] وأخوه إبراهيم(ت. ١٤٥هـ/٧٦٢م)[١٣]، اللذان خرجا في عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٥م) في كلٍّ من الحجاز والعراق (الشَّهرستاني ١٩٩٢: ١٥٥).

وبالتَّوازي مع الدَّعوة العبّاسيَّة السِّرِّيَّة التي كانت قائمةً على قدمٍ وساق، عقد أبو العبّاس السَّفّاح (١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م) وأبو جعفر المنصور اجتماعاً في

عام ١٢٠هـ/٧٣٨م بولايته على العراق، وقُتل في مطلع عهد مروان بن الحكم عام ١٢٧هـ/٧٤٥م (للتَّفاصيل: ابن خلكان د. ت: ٧/١٠١-١١١).

[١٠] يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب: ثار أبوه في عهد هشام بن عبد الملك عام ١٢٢هـ/٧٤٠م، ولمّا قُتل زيد كان يحيى طفلاً، فخرج في نفرٍ من الزَّيديَّة إلى خراسان وبايعوه هناك إماماً. لاحقه الأمويّون وقتلوه عام ١٢٥هـ/٧٤٣م، بُعَيد وفاة هشام. (للتَّفاصيل حول ملاحقة يحيى ومقتله؛ يُنظَر: الطَّبري د. ت: ٧/١٨٩، ٢٢٨-٢٣٠).

[١١] عبد الله المحض: بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمَّد، وأمُّه فاطمة بنت الحسين بن علي، سُمِّي بالمحض لأنَّ أباه هو الحسن بن الحسن وأمه فاطمة بنت الحسين، وكان يشبه رسول الله(ص)، وعُدَّ شيخ بني هاشم في زمانه، قُتل في محبَسه في الهاشميَّة عام١٤٥هـ/٧٦٢م وهو ابن خمس وسبعين (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ١٦٧-١٦٩؛ الحسني د. ت: ٨٠).

[١٢] محمَّد النَّفس الزَّكيَّة: بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. أحد سادات بني هاشم ورجالهم فضلاً وشرفاً وعلماً (ابن الطَّقطقي ١٩٦٦: ١٦٤). لقَّبه أبوه بالنَّفس الزَّكيَّة (البلاذري ١٩٩٦: ٣/٣٠٧)، لما ورد في الأثر "أنَّ النَّفس الزَّكيَّة يُقتَل فيسيل دمه إلى أحجار الزّيت، وقد كان كذلك" (المُحَلِّي ٢٠٠٢: ١/٢٧٣)

[١٣] إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن، واشتهر بشدَّة تديُّنه وغزارة علمه (المُحَلِّي ٢٠٠٢: ١/٢٩٩).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الأبواء، الواقعة بين مكَّة والمدينة، عام ١٢٦هـ/٧٤٤م، ضمَّ كلاً من الإمام جعفر الصّادق(ت. ١٤٨هـ/٧٦٥م)(١٤)، وعبد الله المحض، وابنيه محمَّد النَّفس الزَّكيَّة وإبراهيم وآخرين، وهدف العبّاسيّون من وراء ذلك إلى استمالة العلويّين وكسْب ودِّهم ودفْعهم إلى الوقوف إلى جانب دعوتهم، تحت شعار: الرِّضا من آل محمَّد، نظراً لمحبَّة النّاس للعلويّين وميلهم إليهم، لِما عُرفوا به من الصَّلاح والتَّقوى والورع. وتناول المجتمعون ما هُم عليه من الاضطهاد، وما آلت إليه أحوالُ بني أميَّة من الاضطراب، وهُويَّة الإمام القادم، فقدَّم عبدُ الله المحض ابنَه محمَّد (ابن الطَّقطقي ١٩٦٦: ١٦٤-١٦٥)، ووافق الجميع عليه، ما عدا الإمام جعفر الصّادق، الذي قال لابن عمّه المحض: "اتَّق الله يا أبا محمَّد، وابقِ على نفسِك وأهلِك، فإنَّ الأمرَ ليس فينا، وإنَّما هو في ولَد عمِّنا العبّاس" (البلاذري ١٩٩٦: ٣٠٨/٣)، وقيل: قال الصّادق للمحض: "إنَّ ابنك لا ينالها، يعني الخلافة، ولن ينالها إلا صاحب القباء الأصفر، يعني المنصور" (ابن الطَّقطقي ١٩٦٦: ١٦٥)، وعلى الرَّغم من ذلك، فقد مسح باقي المجتمعين على يد محمَّد النَّفس الزَّكيَّة، وبايعوه (ابن الطَّقطقي ١٩٦٦: ١٦٥).

وفضلاً عمّا ذُكر من أسباب، فقد توخّى العبّاسيّون من خلال مبايعة محمَّد النفس الزكية المحافظة على سرِّيَّة دعوتهم، وخِداع الأمويّين والعلويّين على حدٍّ سواء، وصرْف العيون عن رجال الدَّعوة العبّاسيَّة، وحتّى يعتقد الأمويّون أنَّ منْ يقفُ وراء الحركات السِّريَّة المناهضة هم العلويّون الحسنيّون (بدوي ١٩٧٨: ١٤٠). وأما بخصوص موقف جعفر الصّادق وأنصاره الحسينيّين المُهادن والمُسالم للعباسيّين فربَّما يعود إلى إحساسهم بالجميل الذي أسداه لهم بنو العبّاس، بالقضاء على أعدائهم الأمويّين قتلة الحسين وأصحابه في كربلاء، وكذلك بسبب شعورهم بالإحباط بعد فشل ثورة زيد بن علي، وإيثارهم التفرُّغ للكتابة ووضع أسس الفكر الشّيعيِّ الاثني عشري (بدوي ١٩٧٨: ١٣٩)، وعلاوةً على ذلك، لربَّما خشي الحسينيّون من مزاحمة أبناء عمومتهم الحسنيّين لهم على منصب الإمامة والزَّعامة الرّوحيَّة والدّينيَّة.

سياسة الخليفة أبي العبّاس السَّفاح تجاه الشّيعة الحسنيّين

من المعروف أنَّ الدَّعوة التي أفضت إلى قيام الدَّولة العبّاسيَّة عام ١٣٢هـ/٧٤٩م على انقاض دولة بني أميَّة، قد ارتبطت بمظلوميَّة العلويّين، التي عدَّها العبّاسيّون من أهمِّ القواعد الفكريَّة والدِّعائيَّة لأهدافهم السِّياسيَّة. ولمّا قامت دولتُهم أدرك العلويّون أنَّ العباسيّين نقضوا العهود، فنظروا إليهم كمغتصبين للسُّلطة، وبات الحسنيّون على وجه التَّحديد يتحيَّنون الفُرَص للقيام بما يلزم من أجل تولّي الخلافة، التي اعتقدوا بأنَّهم أحقّ

(١٤) جعفر الصادق، بن محمَّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين: وُلد عام ٨٠هـ/٦٩٩م، وأمُّه أمُّ فروة بنت القاسم بن محمَّد بن أبي بكر الصِّدّيق، ويُكنّى بأبي عبد الله، ولُقِّب بالصّادق لصدقه، اشتغل بالكيمياء والزَّجر والفأل، ومن تلاميذه أبو موسى جابر بن حيّان، ويعدُّه الشّيعة سادس الأئمَّة الاثني عشريَّة، وتوفِّي بالمدينة عام ١٤٨هـ/٧٦٥م (ابن خلكان د. ت: ٣٢٧/١-٣٢٨).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

بها من العبّاسيّين، إلا أنَّ ما جعلهم يتريَّثون في ذلك؛ العلاقات الحسنة التي حرص الخليفةُ أبو العبّاس السَّفّاح على تكريسها تجاههم، بهدف التَّفرُّغ لتثبيت دعائم دولته، ذلك أنَّه أوَّل ما فكَّر به هو دعوة عبد الله المحض لزيارته، فتوجَّه من المدينة المنوَّرة إلى الأنبار على رأس وفدٍ كبيرٍ، واصطحب معه أخاه الحسنَ بن الحسن بن الحسن (الحسن المثلَّث)(ت. ١٤٦هـ/٧٦٣م)، فأكرمهم أبو العبّاس، وبرَّهم، وأغدق عليهم الصِّلات، إلا أنَّه سأل عبدَ الله عن سبب عدم حضور ابنيه محمَّد النَّفس الزَّكيَّة وإبراهيم معه، اللذين لم يبايعاه كما علِم، فطمأنه قائلاً: "ما كان تخلُّفهما لشيءٍ يكرهه أميرُ المؤمنين" (اليعقوبي ٢٠١٠: ٢/٢٩٥).

ويشير السّاعدي (١٩٥٦: ١/٥٠) أنَّه خلال هذا اللّقاء تجنَّب المُجتمعون الحديثَ عن مسألة البيعة، على الرَّغم من أهمِّيتها للسَّفاح، ويبدو أنَّ الحسنيّين اتَّفقوا على عدم الخوض فيها، فأدرك السَّفّاح ذلك، ولم يرغب في إحراج بني عمومته، ولكنَّه أرسل معهم رجلاً "عينا" من طرفه، فشيَّعهم حتّى وصلوا المدينة المنوَّرة، وهناك تعرَّف على أحوالهم، فعاد إلى الخليفة وحدَّثه بما سمع وعرف، فأوغر ذلك صدرَه عليهم. وعندما وصل أبو جعفر المنصور إلى المدينة خلال إحدى رحلات الحجّ التي قام بها في عهد أخيه، جمع الهاشميّين والعلويّين وأغدق عليهم الصِّلات، إلا أنَّه عبر عن قلقه من غياب الأخويْن محمَّد النفس الزكية وأخيه إبراهيم عن مجلسه. وبعد عودته أعرب عن مخاوفه من أن تؤدّي سياسة أخيه اللّيِّنة تجاه العلويّين، إلى المصير نفسه الذي آلت إليه الدَّولة الأمويَّة، فأخذ يلحُّ عليه بتغيير سياسته تجاههم (الساعدي ١٩٥٦: ١/٥٢-٥٣)، إلا أنَّ ذلك لم يمنعه من الاستمرار في مراقبة سلوك العلويّين وتعقُّب محمَّد النَّفس الزَّكيَّة، الذي كان وقتذاك مستتراً في البادية (البلاذري ١٩٩٦: ٣/٣٠٨)، بدعمٍ من أبيه عبد الله المحض، الذي كان يُمنّيه وأخاه إبراهيم النَّصر، ويقول لهما: "اصبروا فإنّما هي غدوة أو روحة حتّى يأتي الله بالفرج" (البلاذري ١٩٩٦: ٣/٣١١)، وأصبح بيتُ عبد الله رمزاً للثَّورة ضدَّ العبّاسيّين.

سياسة الخليفة أبي جعفر المنصور تجاه الحسنيّين، وثورة محمَّد بن عبد الله المحض

ما أن اعتلى أبو جعفر المنصور عرش الخلافة عام ١٣٦هـ/٧٥٣م حتّى كشَّر عن أنيابه في وجه معارضيه، وتزامن ذلك مع الثَّورة التي قام بها عمُّه عبدُ الله بن علي بن عبد الله بن العبّاس(ت. ١٤٧هـ/٧٦٤م) عام ١٤٠هـ/٧٥٧م؛ طلباً للخلافة، فقبض المنصورُ عليه، ومات في سجنه(١٥)، وفي الوقت نفسه نشط رجالُ المنصور في تتبُّع محمَّد النَّفس الزَّكيَّة، وفي تشديد الرَّقابة على الحسنيّين والتضيّق عليهم وقطْع

(١٥) للاطِّلاع على أخبار ثورةِ عبد الله بنِ عليّ؛ يُنظر: (البلاذري ١٩٩٦: ٤/١٤٣-١٥٣)، وللاطِّلاع على تفاصيل إخماد ثورته؛ يُنظَر: (الطَّبري د. ت: ٨/٧-٩).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

أرزاقهم. وعلى الرَّغم من ذلك؛ لاقت دعوتُ محمَّد رواجاً كبيراً في المدينة، بِفضل جهود أنصاره من العلويّين وأحفاد الصَّحابة (اليعقوبي ٢٠١٠: ٣١٣/٢).

وفي عام ١٤٤هـ/٧٦١م خرج المنصورُ إلى الحجّ، وأمر والي المدينة رياحَ بن عثمان بن حيّان المُرّي(ت. ١٤٥هـ/٧٦٢م)[١٦] بإحضار وُجهاء بني الحسن؛ حتّى يعرف منهم مكان اختباء النَّفس الزَّكيَّة، فعانى عبدُ الله المحض وأصحابُه من الاضطهاد والسِّجن والقتل جرّاء تستُّرهم عليه (اليعقوبي ٢٠١٠: ٣١٣/٢)، وقيل أنَّه لمّا طلب المنصورُ من عبد الله تسليمه ابنَه، رفض وأجاب: لو كان محمَّد النَّفس الزَّكيَّة تحت قدمي ما رفعتهما عنه، فأمر بسجنه (الطَّبري د. ت: ٥٢٤/٧). ولمّا لم يُجْدِ ذلك نفْعاً لجأ ابن حيّان المرّي والي المدينة إلى توجيه عبارات التَّهديد والوعيد، حيث اعتلى منبر المسجد النبويّ وقال: "يا أهل المدينة، أنا الأفعى ابن الأفعى، عثمان بن حيّان، وابن عمّ مسلم بن عقبة، المُبيد خضراكم، المُفني رجالكم، والله لأدَعنّها بلقعاً لا ينبحُ فيها كلب" (اليعقوبي ٢٠١٠: ٣١٣/٢). ودفعت سياستُه العنيفة تجاه أنصار النَّفس الزَّكيَّة عديداً من القيادات الحسنيَّة للانخراط في صفوفه، ومنهم الحسين بن علي بن الحسن المثلَّث(ت. ١٦٩هـ/٧٨٦م)، إلا أنَّ محمَّداً منعه من ذلك، وقال له: "يا بنيَّ ارجع لعلَّك تقوم بهذا الأمر من بعدي" (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٢٤٦).

وما لبث محمَّد النَّفس الزَّكيَّة وأخوه إبراهيم أن سارعا إلى إعلان الثَّورة عام ١٤٥هـ/٧٦٢م؛ حيث ثار الأوَّل في المدينة وتلقَّب بالمهدي[١٧]، أمير المؤمنين، وطاف وأنصارُه في طرقاتها يكبِّرون، واقتحم سجنَها، وحرص أن تكون ثورتُه بيضاء، دون إراقة دماء. وفوجئ والي المدينة بذلك، فاعتصم بدار مروان (دار الإمارة، وتُنسب إلى مروان بن الحكم)، فاقتحمها الثّائرون واعتقلوه واستولوا على بيت المال. وصعد النَّفس الزَّكيَّة المنبر وأخذ البيعة من النّاس. وحينها لجأ المنصورُ إلى محاولة القبض عليه وعلى أخيه إبراهيم من خلال الضَّغط على أبيهما عبد الله لإرشاده على مكانهما، أو إقناعهما بالاستسلام، ولكن دون جدوى، فقام المنصورُ بزجِّ عبد الله في السِّجن، وبقي فيه حتّى مات. وندب المنصورُ ابنَ أخيه عيسى بن موسى(ت. ١٦٧هـ/٧٨٣م)[١٨]؛ لقتال النَّفس الزَّكيَّة في عسكرٍ كثيف، فلقيه في

---

[١٦] رياح بن عثمان بن حيّان بن معبد بن شدّاد المُرّي: ولي دمشق لصالح بن علي الهاشمي أمير مصر والشّام لأبي جعفر المنصور، وتصدّى لخروج بندار في جبل لبنان، الذي عاث في قرى البقاع فساداً وقتلاً وأظهر الصَّليب، وفي عام ١٤٤هـ/٧٦١م تمَّ تعيينه على المدينة، وعندما قام عيسى بن موسى بقتل النَّفس الزَّكيَّة قام أنصارُ الأخير بقتل المرّي بالمدينة عام ١٤٥هـ/٧٦٢م (ابن عساكر ١٩٩٥: ٢٦٥/١٨، ٢٦٨-٢٦٩).

[١٧] تلقَّب بالمهديِّ انسجاماً مع حديثٍ ورد عن رسول الله(ص): المهديُّ من ولدي، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي (الحسني د ت: ٨٢).

[١٨] عيسى بن موسى: بن محمَّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس، ولد بالحميمة من نواحي البلقاء بالشّام عام ١٠٣هـ/٧٢١م، وعُدَّ من أقدر الأمراء إداريّاً وعسكريّاً، فساهم في بناء دولة المنصور والقضاء على ثورات

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

موضع قريبٍ من المدينة، وتمكَّن من إلحاق الهزيمة به وقتْله في رمضان١٤٥هـ/ديسمبر٧٦٢م، وحمل رأسَه إلى المنصور، وأمّا إبراهيم فثار في البصرة، ودعا إلى نفسه، وكثر أنصارُه، فتوجَّه إليه عيسى على رأس خمسة عشر ألف مقاتل، فالتقوا بقرية يُقال لها باخمري بالقرب من الكوفة، فكانت الغَلَبةُ لعسكر عيسى، وقُتل إبراهيمُ في المعركة، وذلك في ذي القعدة من العام المذكور (يناير٧٦٣م)، ثمَّ قام المنصور بملاحقة أنصار محمَّد وأخيه إبراهيم، ومصادرة أموال بني الحسن وأملاكهم[١٩].

وطالت سياسةُ أبي جعفر المنصور القاسية تجاه العلويّين الزعيمَ الحسنيَّ علي بن الحسن المثلَّث بن علي بن أبي طالب[٢٠]، حيث حبسه في المُطبِق ستّين ليلة، لا يعرف النَّهار من الليل، ولم يكن زملاؤه يعرفون وقت الصَّلاة إلا بتسبيحه، وكان يصلّي مكبلاً برجلية بالأصفاد، إلى أن توفِّي في سجنه، في ٢٣محرَّم ١٤٦هـ/١١أبريل٧٦٣م، وله من العمر خمسةٌ وأربعون عاماً (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨). وبعد أن تخلَّص المنصور من الثّائرين عليه اتَّجه لبناء عاصمةٍ جديدة، بغداد، ويبدو أنَّ بناءها جاء متوافقاً مع رغبته في إحكام سيطرته على مقاليد الحُكم، وتكريس الحكم العبّاسي الخالص، ولقطع الطَّريق على أية تدخُّلات أو ادِّعاءات بالحقِّ في الخلافة من جانب أبناء عمومته العلويّين (طقوش ٢٠٠٩: ٦٧). ونظراً لشدَّة البطش الذي مارسه المنصور بحق العلويّين، قيل أنَّه ملأ خزانة بجماجمهم، رجالاً ونساءً وأطفالاً، ولما عزم على الحجِّ الذي مات فيه عام ١٥٨هـ/٧٧٥م، دعا ريطةَ بنت أبي العبّاس[٢١]، زوجة ابنه محمَّد المهدي(١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٦م)[٢٢]، الذي كان بالرّي[٢٣]، ودفع إليها مفاتيحَ الخزانة، وطلب

العلويّين في الحجاز والبصرة، وتوفّي عام ١٦٧هـ/٧٨٣م (الذَّهبي ١٩٩٠: ١٠/٣٨٤-٣٨٥؛ فوزي ١٩٩٨: ١/١١٩)، وكان يُلقَّب في أيّام ولاية العهد بالمرتضى (ابن تغري بردي ١٩٩٢: ٢/٦٨).

[١٩] عن تفاصيل ثورة محمَّد النَّفس الزَّكيَّة وأخيه إبراهيم ومقتلهما؛ ينظر: (البلاذري ١٩٩٦: ٣/٣١٤-٣٥١؛ ابن الطِّقطقي ١٩٦٦: ١٦٧؛ المُحَلِّي ٢٠٠٢: ١/٣٠٢-٣١٣).

[٢٠] علي بن الحسن: بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: عُرف بتقواه وكثرة عبادته، فاشتهر بعليِّ الخير، وعليِّ الأغرّ. زوجتُه هي زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والدة الحسين قتيل موقعة فخ، وشقيقة محمَّد النَّفس الزَّكيَّة، بعد أن قتل المنصورُ أباها وأخاها وزوجها وعمومتها وبنيهم قضت بقيَّة حياتها حزينة باكية تلبس المسوح والسَّواد، وكان يُقال للزَّوجين علي وزينب: الزَّوج الصّالح؛ لتقواهما، وكثرة ممارستهما للعبادة (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ١٧٤، ٣٦٤؛ المُحَلِّي ٢٠٠٢: ١/٣١٧).

[٢١] ريطة بنت أبي العبّاس السَّفّاح: تزوجت من عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، ولما مات؛ تزوجها محمَّد المهدي بعد قدومه من خراسان عام١٤٤هـ/٧٦١م، وكانت ريطةُ من أشدِّ النّاس قوَّة وبطشاً، وتوفيت عام١٧٠هـ/٧٨٧م (ابن حبيب د. ت: ٦٠؛ البلاذري ١٩٩٦: ٤/٢٣٩).

[٢٢] محمَّد المهدي بن أبي جعفر المنصور: وُلد في الحميمة من أرض الشّام عام ١٢١هـ/٧٣٩م (ابن خيّاط ١٩٨٥: ٤٣٩)، وقيل ببلدة أيْذَج، بين خوزستان وأصبهان، عام ١٢٧هـ/٧٤٥م (المسعودي ٢٠٠٥: ٣/٢٥٦)، وأمُّه هي أمُّ موسى بنت منصور بن عبد الله الحِميري (ابن قتيبة د. ت: ٣٧٩؛ ابن حزم د. ت: ١٩).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

منها أن تسلِّمها للمهديِّ عند عودته، وأحلفها ألا يتم فتحها إلا بعد موته، ولمّا مات المنصور وولِّي المهديُّ الخلافة، فتح الخزانة، فإذا بها تغصُّ بالجماجم، فارتاع لما رأى، وأمر بدفنها في حُفرة، وبنى عليها دكّاناً (الطَّبري د. ت: ٨/١٠٤-١٠٥).

سياسة الخليفة المهدي تجاه الحسنيّين

اعتلى محمَّد المهدي سدَّة الحُكم بعد وفاة أبيه المنصور، ولكنَّه اتَّبع سياسة مخالفة لتلك التي انتهجها والدُه تجاه الشّيعة، حيث اتَّسمت سياسته باللين؛ من أجل التَّخفيف من روْعهم وتهدئة نفوسهم، حتّى لا يثوروا في وجهه، فردَّ إليهم أموالهم المُصادرة في عهد أبيه، ولهذا مال بعضُهم له وبايعوه، كالحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب(ت. ١٦٨هـ/٧٨٤م)[٢٤] (الطَّبري د. ت: ٦/٣٤٣-٣٤٤)، وأطلق سراح معتقليهم من سجون أبيه، ومنهم الحسن بن معاوية[٢٥]، وأمرَ لهم بجوائز وصِلات وأرزاق (اليعقوبي ٢٠١٠: ٢/٣٣٧؛ مسكويه ٢٠٠٢: ٣/١٤٩)، واستوزر المهديُّ يعقوبَ بن داوود(١٨٧هـ/٨٠٣م)[٢٦]، ذا الميول العلويَّة، وحاول استرضاء أهل الحجاز خلال حجِّه عام ١٦٠هـ/٧٧٧م، فوزَّع عليهم الأموال ووسَّع المسجد الحرام ومسجد المدينة، على الرَّغم من أنَّ أهل الحجاز كانوا مؤيِّدين لثورة محمَّد النَّفس الزَّكيَّة، ومنح المهديُّ الحسينَ بن علي بن الحسن المثلَّث أربعين ألف دينار (الطَّبري د. ت: ٨/٢٠٠؛ الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٠؛ ابن الطِّقطقي ١٩٦٦: ١٩١)، وتزوَّج من رقيَّة بنت محمَّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان؛ تقرُّباً من أهل المدينة، وفي العام التّالي بنى القصورَ والمحطّات على طول الطَّريق بين العراق والحجاز، فأصبحت من أفضل الطُّرق وأكثرها أمناً (ابن الأثير ١٩٨٧: ١٠/ ج١٠، ٣٨١-٣٨٢).

وعلى الرَّغم مما ذُكر، لم يتهاون المهديُّ تجاه محاولات بعض العلويّين الخروج على السُّلطة؛ ففي مطلع عهده ثار أبو الحسن، عليُّ بن العبّاس بن الحسن بن الحسن

---

[٢٣] الرّي: كورة تُنسب إلى بلاد الجبل، على الرغم أنها أقرب إلى خراسان، وتقع قرب طبرستان وقومس وجُرجان، وبها وادٍ عظيم يأتي من الدَّيلم يقال له نهر موسى (الحميري ١٩٨٤: ٣٧٨-٣٧٩).

[٢٤] الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب: أبو محمَّد الهاشمي، كان من سروات بني هاشم وأجودهم، ولِّي المدينة للمنصور خمس سنين، ثمَّ عزله وحبسه، ولمّا توفِّي المنصورُ أطلقه المهديُّ، وتوفِّي عام ١٦٨هـ/٧٨٤م (الذَّهبي ١٩٩٠: ١٠/١٣٠؛ ابن تغري بردي ١٩٩٢: ٢/٧٠-٧١).

[٢٥] الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: أمه هي فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب. كان محمَّد النَّفس الزَّكيَّة قد أنابه عنه بمكَّة خلال ثورته، وبعد مقتل محمَّد اختفى الحسنُ وحاول الثَّورة على والي مكَّة العبّاسي جعفر بن سليمان، فقبض عليه وعذَّبه وحبسه، ولمّا تولّى المهديُّ أطلقه (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤).

[٢٦] يعقوب بن داود السُّلمي: مولى بني سُليم، وزير الخليفة محمَّد المهدي، حُبس في المُطبِق عام ١٦٦هـ/٧٨٢م بسبب ميوله العلويَّة الزَّيديَّة وانتقاداته للخليفة، ولم يزل محبوساً في بئر بقيَّة عهد المهديِّ وخلال عهد الهادي حتّى أطلقه الرَّشيد، وقد أصيب بالعمى، فلحق بمكَّة ومات بها عام ١٨٧هـ/٨٠٣م (الجهشياري ١٩٣٨: ١٦٠-١٦١؛ التَّنوخي ١٩٧٨: ٢/٢٣٣-٢٣٤؛ ابن الطِّقطقي ١٩٦٦: ١٨٤-١٨٥).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

بن علي بن أبي طالب، وأمه هي عائشة بنت محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر، واتَّخذ أبو الحسن من بغداد مركزاً لحركته، فقبض المهديُّ عليه، وبقي محبوساً حتّى تشفَّع له الحسين بن علي بن الحسن المثلَّث، إلا أنَّه تراجع عن عفوه تجاهه نظراً لخطورته، فأمر من يدسُّ له السُّم في شرابه، وما أن وصل إلى المدينة المنوَّرة حتّى تفسَّخ لحمُه ومات بعد ثلاثة أيّام. وأمّا أبو يحيى، عيسى بن زيد بن علي بن الحسين(٢٧)، صاحب محمَّد النَّفس الزَّكيَّة، فقد عفا عنه المهديُّ وحرص على استمالته والإحسان إليه وتأمينه على حياته، ومنحه الأموال والصِّلات، إلا أنَّه ما لبث ثار في وجه الدَّولة واتَّخذ من الكوفة مركزاً لنشاطه، وكان يخرج بين الحين والآخر الى المدينة لمقابلة الزَّيديَّة، فشعر المهديُّ بنشاطه، فسجنه وبعض أنصاره، وبعد خروجه أراد استئناف تمرُّده، ولكنَّه امتنع خوفاً من خُذلان أصحابه، فاستتر وأقبل على العلم ورواية الحديث (للتَّفاصيل؛ يُنظَر: الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٤٢-٣٦١).

سياسة الخليفة الهادي تجاه الحسنيّين وموقعة فخ عام ١٦٩هـ/٧٨٦م

تعرض الشّيعةُ الحسنيّون لنكبةٍ كبيرةٍ على يد الخليفة العبّاسي موسى الهادي، الذي تولّى الحُكم بعد أبيه المهدي، وذلك في موقعة فخّ على بعد ثلاثة أميال إلى ستَّة شمال غرب المسجد الحرام في مكَّة المكرَّمة، التي قتل فيها أبو عبد الله، الحسين بن علي بن الحسن المثلَّث بن علي بن أبي طالب، وعددٌ كبيرٌ من أنصاره وشيعته عام ١٦٩هـ/٧٨٦م. وكان الحسين قد وُلد عام ١٢٨هـ/٧٤٦م في المدينة المنوَّرة (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٦٤)، لأبوين صالحين، كما تقدَّم. واشتهر بالشَّهامة، والكرم، وقيل عنه أنَّه قام بتوزيع المبلغ الذي منحه له الخليفة المهدي على الفقراء في مدينتيِّ بغداد والكوفة (الطَّبري د. ت: ٨/٢٠٠؛ الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٠؛ ابن الطَّقطقي ١٩٦٦: ١٩١)، وعُدَّ من أكبر العلويّين سنّاً، وأكثرهم قُدرة على تزعُّم الحركات الثَّوريَّة، فضلاً عمّا كان له من "مذهبٍ جميلٍ وكمالٍ ومجْد" (اليعقوبي ٢٠١٠: ٢/٣٤٩).

أسباب ثورة الحسين بن علي: توفَّرت مجموعةٌ من الأسباب والظُّروف التي حفَّزت الحسين بن علي على الثَّورة ضدَّ الدَّولة العبّاسيَّة في عهد موسى الهادي؛ ومنها سياسة القتل الاضطهاد والإذلال التي واجهها العلويّون على يد أبي جعفر المنصور، فنشأ الحسينُ في بيتٍ مكلومٍ ومفعمٍ بالحُزن والحداد على قتلى عائلته، وبخاصَّةٍ أبيه علي بن الحسن المثلَّث الذي مات في سجن المنصور، فتأثَّر بتلك الأجواء وصار يتطلَّع

(٢٧) عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: يكنّى أبا يحيى، وُلد في دير نصرانيٍّ ليلة عيد الميلاد، فسمّاه أبوه عيسى، وشهد مع محمَّد بن إبراهيم بن الحسن وأخيه إبراهيم صراعهما مع أبي جعفر المنصور، ولما قُتِلا: استتر عيسى، وبقي كذلك خلال عهدي المهديِّ والرَّشيد، ويرجَّح أنه مات في عهد الأخير (للتَّفاصيل؛ يُنظَر: الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٤٢-٣٦١).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

للثّأر من العبّاسيّين. وترجِّح بعضُ المصادر المقرَّبة من العلويّين أنَّ شخصيَّة الهادي وطباعَه ونفسيَّته قد أثَّرت في سياسته تجاههم، ما دعاهم إلى الثَّورة ضدَّه، فوسموه بأنَّه "شَكِس الأخلاق، صعب المرام، قليل الإغضاء، سيّء الظَّن، قَلَّ من توقّاه وعرف أخلاقه، إلا أغناه، وما كان شيء أبغض إليه من ابتدائه بسؤال" (الجاحظ ١٩١٤: ٣٥)، وقال عنه أبو الفرج الأصفهاني (٢٠٠٨: ١٢٠/٥-١٢١): "ومن فتح فاه فاتّفق له أن يفتحه بغير ما يهواه أقصاه وأطرحه". وعن هرثمة بن أعين(ت. ٢٠٠هـ/٨١٦م)[٢٨] أنَّه قال: "اختصصت بموسى الهادي، وكنت مع ذلك شديد الحذر منه، لإقدامه على الدِّماء" (التَّنوخي ١٩٧٨: ١٩/٣؛ مجهول ١٨٧١: ٢٨٦/٣).

وذكر اليعقوبي (٢٠١٠: ٣٤٨/٢-٣٤٩) أنَّ والي الدَّولة على خراسان، الغطريفَ بن عطاء(ت. ١٧٠هـ/٧٨٧م)[٢٩]، خال الهادي، قد مارس سياسة عدائيَّة تجاه العلويّين، فتحركت جماعة منهم، وطلبت المساعدة من زعماء بعض الولايات، فأجابوهم ومنّوهم بالنَّصر والمعونة، فكان لهذا دورٌ في تثوير العلويّين في الحجاز، الذين تعرَّضوا للتَّضييق، وقطع الهادي ما كان يُجريه أبوه عليهم من أرزاق وأعطيات. وذات يوم بلغ الهادي أنَّ عليَّ بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قد تزوَّج من رقيَّة بنت محمَّد العثمانيَّة، وكانت زوجةً سابقةً للمهدي، فغضب لذلك، وأرسل إلى عليٍّ يوبِّخه ويلومه، قائلاً: "أعياك النساء إلا امرأة أمير المؤمنين، فقال علي: ما حرَّم الله على خلقه إلا نساء جدّي(ص)"، وطلب منها أن يطلِّقها؛ إلا أنَّه لم يفعل، فوخزه بمَخصرَة كانت في يده، وسلَّط عليه خدمَه وأمرهم بضربه خمسمائة سوط، حتّى غُشي عليه، ثمَّ أمر بإطلاقه (الطَّبري د. ت: ٢١٩/٨؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٢٧٦/٥)، وحبس الهادي الإمامَ موسى الكاظم(ت. ١٨٣هـ/٧٩٩م)[٣٠]، ثمَّ رأى عليَّ بن أبي طالب يقول قرآناً: فهل عسيتم إن تولَّيتم أن تُفسِدوا في الأرض وتقطِّعوا أرحامكم (سورة محمَّد، ٢٢)، فعرف أنَّه المُراد، فأطلقه (الهيتمي ١٩٩٧: ٥٩٢/٢).

---

[٢٨] هرثمة بن أعين: من كبار القادة العسكريّين والولاة العباسيّين الأكفاء، خدم في عهد المهدي والهادي والرَّشيد. قتله المأمونُ الفضل بن سهل عام ٢٠٠هـ/٨١٦م (اليعقوبي ٢٠١٠: ٣٥٧/٢)

[٢٩] الغطريف بن عطاء: أخو الخيزران وخال الهادي والرَّشيد. وكان يدَّعي نسباً في بني الحارث بن كعب. ولّاه الهادي على اليمن، وتُنسب له "طاقات الغطريف" بالجانب الغربيِّ من بغداد، مات عام ١٧٠هـ/٧٨٧م (الحموي ١٩٩٥: ٥/٤؛ ابن تغري بردي ١٩٩٢: ٨٣/٢).

[٣٠] موسى الكاظم بن جعفر بن محمَّد بن علي بن الحسين: وُلد في المدينة عام ١٢٩هـ/٧٤٧م، ويُكنّى أبا الحسن، ويُدعى العبد الصّالح، واشتهر بالتَّقوى والورع والصَّبر؛ فسمي بالكاظم. تولَّى الإمامة بعد موت أبيه جعفر الصّادق عام ١٤٨هـ/٧٦٥م، ويُعدُّ الإمامُ السّابع عند الإماميَّة الاثني عشريَّة، وفي عهده دخلت الإماميَّة طورها السِّرّي. سجنه المهديُّ ثمَّ أطلقه ووصله، وتوفِّي عام ١٨٣هـ/٧٩٩م، أو ١٨٦هـ/٨٠٢م (ابن خلكان د. ت: ٣٠٨/٥-٣١٠؛ الليثي: ١٩٧٦: ٢٥١).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

غير أنَّ من أهمِّ العوامل التي سرَّعت من ثورة الحسين بن علي، وأدَّت إلى انطلاق شرارتها ضدَّ العبّاسيّين؛ السّياسة التي اتَّبعها ضدَّ العلويّين عامل المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، المعروف بالعُمَري، الذي خلف إسحقَ بن عيسى العبّاسي(ت. ٢٠٣هـ/٨١٨م)(٣١)، وعُرف العُمَري بحقده وغلظة تعامله معهم (الطَّبري د. ت: ١٩٢/٨؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٢٦٥/٥؛ ابن خلدون، ٢٠٠٠: ٢٧٠/٣)، فقام بإلقاء القبض على الحسن بن محمَّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن الملقب بأبي الزِّفت(ت. ١٦٩هـ/٧٨٦م)(٣٢)، وعددٍ ممَّن ينحدرون من الحسنيّين الآخرين، واتَّهمهم بشُرب الخمر، وأمرَ بهم فضُربوا جميعاً، ثمَّ جُعلت في أعناقهم حبالٌ، وطيفَ بهم مكشوفي الظُّهور، فذهب الحسينُ بن علي إلى الوالي مستنكراً فِعلته تجاههم، وقال له بأنَّهم شربوا نبيذاً غير مُسكر، لم يحرِّمه الفقهاء العراقيّون، وبأنَّ الأهالي لم يألفوا مثل هذه العقوبات في إقامة الحدود الشَّرعيَّة، ولكنَّ الوالي لم يحفل برأي الحسين، وأمر بهم فحُبسوا يوماً وليلة (الطَّبري د. ت: ١٩٢/٨؛ الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٣؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٢٦٥/٥). ولا يُستبعد أن تكون هذه التُّهمة قد لُفِّقت لهم من أجل تشويه صورة العلويّين والحطِّ من قدْرهم بين النّاس.

وجاء في روايةٍ أخرى: تشاجر أبو الزِّفت المذكور مع رجلٍ من آل الوالي العُمَري، ما أثار الأخير، فطلب أبا الزِّفت ولكنَّه لم يجده. فاستدعى العمريُّ الحسينَ بن علي، فجيء به بطريقةٍ مُهينةٍ، حتّى أُدخل عليه، فطلب منه إحضار أبي الزِّفت، فقال له الحسين: إنَّه بسويْقة، على بُعد ستَّة وثلاثين ميلاً من المدينة، ولا يمكنه الإتيان به، وبأنَّه ليس كفيلاً له. فهدَّده العُمَريُّ إنْ لم يفعل فإنَّه سوف يضربه ويعذِّبه، وحينها طلب الحسينُ الخروجَ لمحاولة العثور عليه وإحضاره، فوافق العُمَريُّ وقال: "يا هؤلاء اشهدوا أنَّ امرأتَهُ طالق، وكلَّ مملوك له حرٌّ - إن لم يأتِ به غداً قبل الزَّوال - إنْ لم يضرب الحسينَ بن علي ألف سوطٍ عاش منها أو مات. وإنْ لَمْ يركب إلى سويقة فيخرِّبها ويأتي بنسائهم حسراً حتى يولجهُنَّ الحبس"، واستحلف العُمَريُّ الحسينَ ليأتينَّه به إلى دار مروان في المدينة، فإنْ لم يجده في الدّار أشهدَ على موافاته به شُهوداً (الرّازي ٢٠٠٠: ٢٨-٢٩). وكانت الدَّولة العبّاسيَّة تنظرُ بعين الخطورة لاختفاء أية شخصيَّة من شخصيّات أهل البيت المعارضة؛ خوفاً من الدَّعوة السِّريَّة التي قد يقوم بها المُختفي، بناءً على تجربة العبّاسيّين أنفسهم، وبناءً على ما حصل خلال ثورة محمَّد النَّفس الزَّكيَّة.

---

(٣١) إسحق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن العبّاس: أبو الحسن الهاشميّ، كان من وجوه بني هاشم وأعيانهم، ولِّي إمرة المدينة للمهديّ، والبصرة للرَّشيد، ثمَّ دمشق بعد عزل عبد الملك بن صالح عام ١٧٩هـ/٧٩٥م، وتوفِّي عام ٢٠٣هـ/٨١٨م (الصَّفدي ٢٠٠٠: ٢٧٢/٨).

(٣٢) أبو الزِّفت: الحسن بن محمَّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. لقِّب بذلك لشدَّة سُمرته (ابن حزم د. ت: ٤٠).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ويبدو أنَّ الحسينَ قد نجح في إقناع أبي الزِّفت بالحضور إلى المدينة، وحينها لجأ العُمَريُّ إلى ممارسة العقاب الجماعيِّ بحق الحسنيّين، فأمرهم أن يمثُلوا للعرْض عليه في المقصورة كلَّ يوم، وكفل بعضُهم بعضاً، فكفلَ الحسينُ بن علي ويحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى(ت. نحو ١٨٠هـ/٧٩٦م)[٣٣] أبا الزِّفت؛ وكلَّف والي المدينة للإشراف على العرض رجلاً يُعرف بأبي بكر بن عيسى ابن الحائك، مولى الأنصار، فغاب أبو الزِّفت عن العرض يوم الأربعاء والخميس والجمعة، فبدأ الشَّكُّ يساور الوالي، وفي عشيَّة يوم الجمعة سأل الوالي الحسينَ بن علي ويحيى بن عبد الله عن الحسن؛ فتعلّلا بعلل وقالا: كنّا نظنُّ أنَّ هذا اليوم لا يكون فيه عرض؛ فكلَّمهما بكلامٍ أغلظ لهما فيه، وتبادل الطَّرفان السُّباب والشَّتائم، ثم خرج ابنُ الحائك إلى العُمَري غاضباً ونقل إليه ما حدث، فاستدعى العُمَريُّ الحسينَ بن علي ويحيى بن عبد الله ووبَّخهما وتهدَّدهما وأبا الزِّفت بالقتل عندما يعثر عليه، وحينها أبدى يحيى استعداده للبحث عنه وإحضاره إن استطاع، وعندما لامه الحسينُ بعد خروجهما على موقفه هذا، أجاب بأنَّه لم يكن جادّاً في ذلك، وإنَّما هدف إلى جعل ذلك مبرِّراً للدُّخول إلى دار الإمارة وقتْل العُمَري، فلم يوافقه الحسينُ الرأي، حتّى لا تفسد خطَّة الثَّورة. وعندما التقى الحسينُ بأبي الزِّفت أطلعه على ما جرى، فقرر تسليم نفسه من أجل تخفيف العبء عن الحسين، ولكنَّ الأخير رفض ذلك، وشدَّ أزرَه ووعده بأنْ لا يسلمه أو يخذله (الطَّبري د. ت: ١٩٣/٨؛ الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٢-٣٧٤؛ ابن خلدون ٢٠٠٠: ٢٧٠/٣).

وبسبب الظُّروف آنفة الذِّكر، اضطرَّ الحسينُ بن علي ويحيى بن عبد الله إلى تقديم موعد انطلاق الثَّورة، حتّى لا يُسارع والي المدينة إلى حبسهما، فتنتهي ثورتهما قبل أن تبدأ (الهامي ٢٠١٣: ٣٨٧)، وبخاصَّةٍ أنَّ البدء بها كان مرتبطاً بموعدٍ زمنيٍّ محدَّد، وليس أدلَّ على ذلك من قول ابن خلدون (٢٠٠٠: ٢٧٠/٣): "وكان بين الطّالبيّين ميعاد للخروج في الموسم فأعجلهم ذلك". وبدأت المشاوراتُ بين الحسين بن علي مع مختلف الشَّخصيّات الطّالبيَّة، وفي مقدِّمتها الإمام موسى الكاظم، إذ لم يكن الحسينُ يقطع أمراً إلا بعد مشاورته؛ فاجتمعا سويّاً عند عبد الله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الأفطس، الذي عُدَّ "أسد بني هاشم وأشجع أهل زمانه"، وانضمَّ إليهم يحيى بن عبد الله المحض، واتَّفق الجميع على الخروج، بتشجيع من الإمام الكاظم ومباركته (الرّازي ٢٠٠٠: ٢٩-٣٠). وكان الإمامُ يتوقَّعُ مقتل

(٣٣) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب: من كبار الطّالبيّين. تتلمذ الفقه والحديث على يد جعفر الصّادق، وحضر موقعة فخ، ونجا فدعا إلى نفسه، وأصبح له أنصارٌ في الحجاز واليمن ومصر. وصل إلى طبرستان، فبلاد الدَّيلم وأعلن بها دعوته عام ١٧٥هـ/٧٩١م، فحاربه الرَّشيدُ، وعندما ضعف أمره خاف أن يغدر به ملك الدَّيلم، فطلب أمان الرَّشيد فأمَّنه، إلا أنَّه سجنه ومات في السِّجن عام ١٨٠هـ/٧٩٦م تقريباً (البلاذري ١٩٩٦: ٣٥٣/٣؛ الزركلي ٢٠٠٢: ١٥٤/٨).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الحسين، وهذا ما ظهر من حديثه له وهو يودِّعه: "إنَّك مقتول، فأَحدَّ الضرّاب، فإنَّ القومَ فُسّاق يُظهرون إيماناً، ويُضمِرون نِفاقاً وشِركاً" (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٥)، وأضاف: "يا بني عمّي، أجهدوا أنفسكم في قتالهم وأنا شريككم في دمائهم" (الرّازي ٢٠٠٠: ٢٩). ولكنه تعذَّر للحسين عن الخروج معه بقوله: "أنا ثقيل الظّهر، فلو خرجت معكم لم يتركوا من ولدي أحدا إلاّ قتلوه، فاجعلوني في حلّ من تخلُّفي عنكم. فعرفوا عذره، فجعله الحسين في حلّ" (الرّازي ٢٠٠٠: ٢٩).

بيعة الحسين بن علي وثورته في المدينة المنوَّرة: اعتبر الحسينُ بن علي المدينةَ المنوَّرة المكان الأفضل لإعلان الخروج وتجنيد الأنصار قُبيل موعد الحجِّ، بهدف التَّوجُّه منها إلى مكَّة المكرَّمة، ليتَّخذ من اجتماع الحجيج غطاءً للتَّواصُل مع أصحاب الدَّعوة والأنصار، ومواصلة الثَّورة هناك، وأراد الحسينُ بن عليٍّ أن يبايعَ يحيى بن عبد الله المحض، فقال الأخير له: "أنت أحقُّ بالبيعة منّي، لأنَّك الممتحن به دوني، وأنا لك عونٌ حتّى يقضي الله من أمرنا ما هو قاضٍ، فبايعه" (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٠).

وممن بايعوا الحسينَ فضلاً عن يحيى: إدريس وسليمان ابنا عبد الله المحض، وعليُّ بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وعبد الله بن الحسن الأفطس، وإبراهيمُ بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن طباطبا، والحسينُ بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعبدُ الله بن إسحق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، والحسنُ بن محمَّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وطاهرُ بن محمَّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وطاهرُ بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وحمزةُ بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٠)، وعمرُ بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعبدُ الله بن جعفر بن محمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٥).

وانفرد الرّازي (٢٠٠٠: ٣٠) بذِكر العدد الإجماليِّ للمُبايعين، فقال: خمسة عشر رجلاً من ولد عليِّ بن أبي طالب[٣٤]؛ ومن مواليهم خمسةٌ وعشرون رجلاً، ثمَّ جاءهم "مِن أفناء النّاس من له بصيرة ومأثرة" نحواً من خمسين رجلاً فصاروا تسعين، وأضاف الرّازي أنَّ قلَّتهم "لم تمنعهم من النُّهوض لما أوجب الله عليهم من الوفاء بالبيعة، والمدافعة عن الذي وجبت المدافعة عنه". وذكر الأصفهاني (١٤١٦هـ: ٣٧٥) أنَّ عشرةً من الحجّاج قد بايعوا الحسين خلال هذه المرحلة، وأضاف أنَّه لم يتخلَّف أحدٌ من الطّالبيّين الحاضرين سوى الإمام موسى الكاظم، والحسنُ بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فإنَّ الحسينَ استعفاه ولم يكرهه.

(٣٤) ذكر الأصفهانيُّ أنَّ عددَ المبايعين من ولد علي بلغ ستةٌ وعشرون (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٥).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وتزامناً مع التَّحضيرات التي عكف الحسينُ على القيام بها؛ عرَّج على المدينة قومٌ من الشّيعة الزَّيديَّة من أهل الكوفة، خلال طريقهم إلى مكَّة، فبايعوه، وقدم إليه من الحجاز سبعون من أنصاره، ونزلوا دار ابن أفلح بالبقيع. وأبلغهم الحسينُ أنَّ الخروجَ سيكون بمكَّة في موسم الحجّ، وبأن كلمة السِّرِّ بينهم هناك: "منْ رأى الجملَ الأحمر" (اليعقوبي ٢٠١٠: ٣٤٩/٢؛ الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٣، ٣٨٣). ثمَّ بدأت ثورةُ الحسين في المدينة المنوَّرة بعد أذان فجر يوم ١٣ذي القعدة١٦٩هـ/١٦مايو٧٨٦م، حيث مضى بمن معه حتّى "جاوزوا دار الإمارة وأصْلَتُوا سيوفَهم"، ثم دخلوا المسجد ونادوا: أحدٌ أحد، وذلك كان شعارهم[٣٥]، وصعد عبدُ الله بن الحسن الأفطس إلى المنارة التي عند رأس النَّبي(ص) عند موضع الجنائز، وأمر المؤذِّنَ أن يقول في أذانه: حيَّ على خير العمل، فتَمنَّع، فلمّا رأى السَّيفَ مُصلتاً أذَّن برُعب، ثمَّ ذهب نفرٌ من أنصار الحسين لاعتقال العُمَريِّ أو قتْله، فلم يجدوه في بيته وفي دار الولاية (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٥)، لأنَّه كان قد خرج من بيته عندما سمع صوت المؤذِّن، ولجأ إلى دار عمر بن الخطاب، ثم دخل زقاق عاصم، ونفذ منه ومضى هارباً حتّى نجا (الرّازي ٢٠٠٠: ٣١).

وبعد أن صلّى الحسينُ بالنّاس صلاةَ الفجر صعد المنبر، فجلس وعليه قميصٌ وعمامةٌ بيضاء[٣٦]، قد سدلها من بين يديه ومِن خلفه، وسيفُه بين رجليه، وانتظر قدوم النّاس لمبايعته (الطَّبري د. ت: ٢٠١/٨)، ثمَّ حمد اللهَ وأثنى عليه، وتلا بيعته: "أبايعكم على كتاب الله وسنَّة نبيِّه، والعدل في الرَّعية، والقسم بالسَّويَّة، نحلُّ ما أحلَّ القرآن والسُّنَّة العادلة، ونحرّم ما حرَّم القرآن والسُّنَّة العادلة، ونكون على ذلك أعواناً بجهدنا وطاقتنا، وتجاهدوا عدوَّنا وتفلحوا معنا، فإنْ وفينا لكم وفيتم لنا، وإنْ خالفنا فلا طاعة لنا عليكم، وعليكم عهد الله أن تجاهدونا فيمن جاهدنا إن نحن خالفنا، ثم قال: اللهمَّ اشهد" (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٢-٣٣). وفي نص آخر: "يا أيُّها النّاس، أنا ابن رسول الله في حرم رسول الله، وفي مسجد رسول الله، وعلى منبر نبيِّ الله، أدعوكم إلى كتاب الله وسنَّة نبيِّه؛ فإن لم أفِ لكم بذلك فلا بيعة لي في أعناقكم" (الطَّبري د. ت: ٢٠١/٨؛ ابن الجوزي ١٩٩٥: ٣١٠/٨)، فبايعه شيعتُه وأنصارُه للمرتضى أو الرِّضى من آل محمَّد (الطَّبري د. ت: ١٩٤/٨)، وهو الشعار نفسه الذي رفعه العبّاسيّون في بداية دعوتهم لاستعطاف أنصار أهل بيت النبيّ(ص) من بني هاشم وشيعتهم (عُلبي ٢٠١٠: ٨١). وبعد ذلك بعث الحسينُ إلى أهل العدالة من أهل المدينة، وفتح دارَ مروان ودعا الحسنَ بن محمَّد بن عبد الله (أبو الزِّفت) فأدخله الدار، ودعا أهل العدالة

[٣٥] على غرار شعار محمَّد النَّفس الزَّكيَّة وأخيه إبراهيم: أحدٌ أحد (المُحَلِّي ٢٠٠٢: ٣١٣/١).

[٣٦] أراد بذلك مخالفة العبّاسيِّين المسوّدة، أصحاب اللَّون الأسود في زيِّهم وأعلامهم، وكانوا قد شكَّلوا في عهد الأمويِّين حكومة الظِّل، واتخذوا رايةً اسمها الظِّل، وقالوا: أنَّ الأرض كما لا تخلو من الظِّل، كذلك لا تخلو من خليفة عباسيٍّ إلى آخر الدَّهر (عُلبي ٢٠١٠: ٨٢).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

إلى الشَّهادة بأنَّه قد أحضر الحسنَ إلى دار الإمارة، وهدف الحسينُ من وراء ذلك التَّحلُّل من يمينه التي استحلفه بها العُمَريُّ أن يوافيه بالحسن، وبعث الحسينُ إلى أصحاب العُمَريّ يدعوهم إلى بيعته، فاستجاب بعضُهم (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٢).

وعلى نحوٍ مفاجئٍ أقبل الفارسُ خالدُ البربريُّ، أحد رجال الدَّولة العاملين على الصَّوافي[٣٧]، ومعه العُمَريُّ في ستَّة مائة فارس وألف راجل (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٣)، وقيل مئتان (الطَّبري د. ت: ١٩٤/٨؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٢٦٦/٥)، واقتحموا المسجد بخيلهم عن طريق باب جبرائيل، أحد أبوابه (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٦)، وكان البربريُّ حينذاك يعتمرُ عصابةً حمراء على بيضته، شاهراً سيفَه، يصيح موجِّهاً كلامه للحسين: قتلني اللهُ إنْ لم أقتلْك (الطَّبري د. ت: ١٩٤/٨)، فانحاز نفر من أصحابِ الحسين ناحيته، ودخل إدريسُ بن عبد الله المحض ومولِيان له، ودرباسُ الخزاعي ورجلٌ من جهينة من ناحية المصلّى ينادون: أحدٌ أحد. والحسينُ على المنبر لم يزل، فضرب إدريسُ البربريَّ وعرقب فرسَه (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٣؛ المُحَلِّي ٢٠٠٢: ٣٢٣/١)، ثم "بدره يحيى فضربَه على جبينه، وعليه البيضة والمغفر والقلنسوة، فقطع ذلك كلَّه وأطار قحفَ رأسه" (المُحَلِّي ٢٠٠٢: ٣٢٣/١). ومال شيعةُ الحسين على جند العمريِّ فأخرجوهم من المسجد، وقتلوا منهم جماعةً، ثم انتقل القتال إلى خارج المسجد، وظلَّ الطَّرفان على هذا النَّحو ثلاثة أيّام (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٣-٣٤)، فيما بين رحبة دار الفضل بن العبّاس(ت. ١٨هـ/٦٣٩م) والزَّوراء شمال غرب المسجد النبويَّ، فاختلَّ الأمنُ وأغلقَ الأهالي عليهم أبوابَهم (الطَّبري د. ت: ١٩٤/٨)، وخلال ذلك قُتل عديدٌ من جند الطَّرفين، إلا أنَّ الغَلَبة كانت للحسين، فاقتحم أنصارُه بيت المال، فوجدوا فيه ثلاثة آلاف ألف دينار فرَّقها الحسينُ على الفقراء (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٤). وقيل وجدوا فيه سبعين ألفا (الطَّبري د. ت: ١٩٤/٨).

وتُجمِع الرِّوايات التّاريخيَّة أنَّ مبارك التُّركي، أحد قادة الدَّولة العبّاسيَّة، عرَّج ورجالُه على المدينة، في آخر نهار اليوم الثّالث من حركة الحسين، خلال سيرهم إلى مكَّة (الطَّبري د. ت: ١٩٥/٨؛ الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٧)، ولكنَّ هذه الرِّوايات تختلف فيما بينها حول تفاصيل ما حدث بعد ذلك؛ فقيل أنَّه حضر على رأس جيش كثيف لمواجهة ثورة الحسين، بناء على تعليمات الهادي، "وخرج إليه أهلُ المدينة فكلَّموه في أن يقاتل الحسين، فقاتل يوماً إلى الزَّوال. فكانت حربُهم سِجَالاً، ثمَّ انصرف عنه ولم يحضرهم في حروبهم" (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٥). وقيل، نقلاً عن جماعةٍ من أهل المدينة أنَّه عندما علم بأمر الحسين نأى بنفسه عن مواجهته وأرسل إليه: "والله لأن أسقط من السَّماء فتتخطَّفني الطَّير، أو تهوي بي الرّيح في مكانٍ سحيقٍ، أيسر

---

[٣٧] الصَّوافي: من الاصطفاء، وهو مصطلحٌ ماليٌّ يُطلق على ما يصطفيه الخليفةُ أو القائد، فيُجعَل في بيت المال (الرّازي، ٢٠٠٠: ٣٣).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

عليَّ من أن أشوكك بشوكة، أو أقطع من رأسك شعرة" (الطَّبري د. ت: ٢٠١/٨؛ ابن الجوزي ١٩٩٥: ٣١٠/٨؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٢٦٦/٥)، وفي روايةٍ أخرى قيل: مرَّ مبارك بالمدينة للزِّيارة، فبلغه خبرُ الحسين، فبعث إليه ليلاً: إنّي والله ما أحبُّ أن تُبتلى بي ولا أبتلى بك، فابعث الليلة إليَّ نفرٌ من أصحابك ولو عشرة يبيتون عسكري حتّى أنهزم وأعتلّ بالبيات"، فوجَّه الحسين عشرةً من أصحابه فجعجعوا بمبارك وصيَّحوا في نواحي عسكره، فتظاهر بالانهزام، ومضى مسرعاً حتّى انتهى إلى مكَّة (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٧).

ومكث الحسينَ وأصحابَه في المدينة أحد عشر يوماً (الطَّبري د. ت: ١٩٥/٨)، وقيل واحدٌ وعشرون (ابن خلدون ٢٠٠٠: ٢٧٠/٣)، ويدَّعي الطَّبريُّ (د. ت: ١٩٥/٨) أنَّ شيعة الحسين أساءوا لحرمة المسجد النبويِّ خلال إقامتهم فيه، وقال: "وكان أصحابه يُحدِثون في المسجد، فملأوه قذراً وبولاً"، "وأخذ أصحابُ الحسين ستور المسجد، فجعلوها خفاتين لهم"، ما جعل أهل المدينة يضيقون بهم ذرعاً ويُحجمون عن الوقوف إلى جانبهم. وفي ٢٤ذي القعدة ١٦٩هـ/٢٧مايو عام ٧٨٦م خرج الحسينُ على رأس ثلاثمائة من أصحابه (الطَّبري د. ت: ١٩٥/٨؛ المُحَلِّي ٢٠٠٢: ٣٢٣/١)، وهذا العددُ يتناسب مع الشُّروط الشَّرعيَّة لخروج الإمام في نظر الزَّيديَّة، أي ألا يقلُّ عدد أتباعه عنه (فوزي ١٩٩٨: ١٨٣/١). وقيل: "كان الحسين في أربع مائة رجل ليس معهم فرس إلا فرس يحيى بن عبد الله بن الحسن" (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٥)، واستخلف على المدينة دينارَ الخزاعي (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٧)، وعند الرّازي: درباس الخزاعي (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٤). وانفرد الطَّبريُّ (د. ت: ١٩٥/٨) بالقول أنَّ الحسينَ لمّا وصل سوق المدينة التفت إلى النّاس وقال: "لا خلف الله عليكم بخير! فقال النّاس وأهل السّوق: لا بل أنت؛ لا خلف الله عليك بخير، ولا ردَّك". ويبدو أنَّ عدداً ممَّن وعدوا الحسين بالالتحاق به قد نكثوا بوعودهم، فأعرب عن استيائه، وقال في ذلك شِعراً[٣٨].

الحسنيّون والعبّاسيّون في مكَّة المكرَّمة: وصل الحسينُ وأصحابُه إلى فخ، وقيل: "فخ وبَلدَح" (المُحَلِّي ٢٠٠٢: ٣٢٣/١). وذكر الرّازيُّ (٢٠٠٠: ٣٧) أنَّ يحيى بن عبد الله تسلَّل إلى مكَّة خفيةً، ووقف على الصَّفا، فجعل ينادي: "رحم الله من يعرف الجمل الأحمر"، بهدف استقطاب المؤيِّدين. وانفرد اليعقوبيُّ (٢٠١٠: ٣٤٩/٢) بالقول أنَّ خمسمائة من الحجيج بايعوا الحسين بن علي خلال إقامته بفخ. ووفق ما أفاد به كلٌّ من ابن خيّاط (١٩٨٥: ٤٤٥) والطبريّ (د. ت: ١٩٦/٨)، فقد تزامنت هذه

---

[٣٨] من عاذَ بالسيف لاقى فرصةً عجَباً .. موتًا على عجل أو عاش منتصِفًا. لا تقربوا السَّهل إنَّ السَّهل يفسدكم .. لن تدركوا المجد حتّى تضربوا عُنفاً. وقال أيضاً: وإني لأنوي الخير سرّاً وجهرةً .. وأعرف معروفاً وأنكر منكرا. ويعجبني المرء الكريم نجاره .. ومن حين أدعوه إلى الخير شمرا. يعين على الأمر الجميل فإن يرى .. فواحش لا يصبر عليها وغيرا (الطَّبري د. ت: ٢٠٢/٨؛ المُحَلِّي ٢٠٠٢: ٣٢٥/١-٣٢٦).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الأحداث مع وصول موكب الحجِّ العبّاسيِّ، الذي ضمَّ عدداً من أهل بيت الخليفة، ومنهم أميرُ الحجِّ سليمان بن أبي جعفر المنصور(ت. ١٩٩هـ/٨١٥م)[٣٩]، وموسى بن عيسى بن موسى العبّاسي(ت. ١٨٢هـ/٧٩٨م)[٤٠]، والعبّاس بن محمَّد بن علي(ت. ١٨٦هـ/٨٠٢م)[٤١]، ومحمَّد بن سليمان بن علي(ت. ١٧٣هـ/٧٨٩م)[٤٢]، مصطحبين معهم السِّلاح والعدَّة والرِّجال، لأنَّ الطَّريق كان محفوفاً بخطر هجمات الأعراب. ويبدو أنَّ هؤلاء لم يكونوا قبل ذلك يعلمون بأمر الحسين.

ومن أجل التَّصدّي لثورة الحسين، كتب الخليفةُ الهادي إلى محمَّد بن سليمان يؤمِّره على الحرب، وذكر الطَّبريُّ (د. ت: ١٩٦/٨) بأنَّ الهادي "عندما أمر بكتاب تولية محمَّد بن سليمان على الحرب قيل له: عمَّك العبّاس بن محمَّد (بن علي بن عبد الله بن عباس)، قال: دعوني، لا والله لا أُخدع عن ملكي؛ فنفذ الكتاب بولاية محمَّد بن سليمان بن علي على الحرب"، ووصل إلى مكَّة عديدٌ من شيعة ولد العبّاس ومواليهم وقوّادهم، فطافوا بالبيت، وسعوا بين الصّفا والمروة، وحلّوا من عمرتهم، وانضمّوا للجيش العبّاسي.

وبالغت بعضُ المصادر حول حجم القوَّة العسكريَّة التي أرسلها الهادي لمواجهة ثورة الحسين، فقال الرّازي (٢٠٠٠: ٣٤): "ووجَّه إليه الهادي بجيوش تترا جيشاً في أثر جيش": جيشٌ يقوده محمَّد وجعفرُ ابنا سليمان بن علي بن عبد الله بن عبّاس (ابن عم أبو جعفر المنصور) في جند البصرة، وآخر بقيادة الخولي والعبّاس بن محمَّد بن علي بن عبد الله بن عباس، و"جيشٌ كثيف" بقيادة موسى بن عيسى، وجيشٌ آخر بقيادة حسن الحاجب، وأتبع هذه الجيوش بعُبَيد بن يقطين بن موسى في أصحابه، وأضاف الرازي (٢٠٠٠: ٣٧): ولحقهم مفضَّلُ الوصيف، وأبو الورد، وصاعدُ في

---

[٣٩] سليمان بن عبد الله بن محمَّد بن علي بن عبد الله بن عباس: أمُّه هي فاطمة بنت محمَّد بن محمَّد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله التَّيمي، ولِّي إمارة البصرة ودمشق للرَّشيد والمأمون، وإليه يُنسب دربُ سليمان ببغداد، توفِّي عام ١٩٩هـ/٨١٥م (ابن حزم د. ت: ١٩؛ الصَّفدي ٢٠٠٠: ٢٤١/١٥).

[٤٠] موسى بن عيسى بن موسى بن محمَّد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، يُكنّى أبا عيسى، وكان جواداً عاقلاً متواضعاً، وُلِّي الحرمين ومصر ودمشق والكوفة واليمن للمنصور والمهديِّ والهادي والرَّشيد، وتوفِّي ببغداد عام ١٨٢هـ/٧٩٨م (ابن أبي الحديد ١٩٦٣: ٢٨٩/١٥؛ ابن تغري بردي ١٩٩٢: ٨٤/٢-٨٥، ١٠٢، ١٢٧).

[٤١] العبّاس بن محمَّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس: الأمير أبو الفضل العبّاسي، شقيق أبي جعفر والسَّفّاح، ولد عام ١٢٠هـ/٧٣٨م، وعُدَّ من أنبل رجال بني العبّاس، وُلِّي الشّام للمنصور، وحارب الرّوم عام ١٥٩هـ/٧٧٦م، ووِلِّي الجزيرة للرَّشيد، وكان الأخير يهابه ويحترمه، وتوفِّي عام ١٨٦هـ/٨٠٢م، (الذَّهبي، ١٩٩٦: ٥٣٤/٨-٥٣٥).

[٤٢] محمَّد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: ابن عم المنصور والسَّفّاح، ولد بالحميمة عام ١٢٢هـ/٧٤٠م، وُسم بالشجاعة، وساهم في تثبيت الدَّولة العبّاسيَّة، وهو الذي قتل إبراهيمَ بن عبد الله بن الحسن. وُلِّي البصرة والكوفة وفارس للمنصور والمهدي والهادي والرَّشيد، وتزوَّج من العبّاسة ابنة المهديّ، ثمَّ ما لبث الرَّشيد أن نقم عليه وصادر أموالَه، وتوفِّي عام ١٧٣هـ/٧٨٩م (الذَّهبي ١٩٩٠: ٣٤٦/١١؛ ابن حزم د. ت: ٢٠).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

جيشٍ كبير، ومنارةٌ. وذكر المسعوديُّ (٢٠٠٥: ٢٧١/٣) أنَّ عدد الجند العبّاسي بلغ أربعة آلاف، وذهب المُحَلِّي (٢٠٠٢: ٣٢٨/١) أبعد من ذلك بكثير عندما قال بأنَّه بلغ أربعين ألفاً.

وقبيل خروج الجيش من مكَّة استخلف أميرُ الحرب العبّاسي عليها واليها عبيدَ الله بن قثم[٤٣] لمنع الحجاج من التَّوجُّه إلى الحسين ومبايعته (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٧). ومن أجل الهدف ذاته أشاع والي مكَّة أنَّ الحسين وأنصاره كانوا قد دنّسوا حرمة المسجد النَّبويِّ، ما كان له أثرٌ سلبيٌّ في تجاوب النّاس مع دعوته؛ فلجأ الحسين للاستقواء بالعبيد، وأعلن أنَّ أيَّ عبد ينضمُّ إلى صفوفه فهو حرٌ، فأتاه عديدٌ منهم (الطَّبري د. ت: ١٩٥/٨)، فأثار ذلك أشرافَ مكَّة، وبدأوا بالتَّضييق عليهم، ما اضطرَّ بعضَهم للتَّراجع عن ولائهم للحسين، والعودة إلى أسيادهم (فوزي ١٩٩٨: ١٨٤/١).

وتحرَّكت القوّاتُ العبّاسيَّةُ فأتت وادياً قريباً من مكَّة يُدعى ذا طوى وعسكرت فيه (الطَّبري د. ت: ١٩٦/٨)، قبل أن تنطلق إلى فخ. وحينذاك أراد موسى بن عيسى أنْ يستطلعَ أحوالَ الحسين وأصحابه، فاستدعى أبا العرجا الجمّال، وقال له: أحضرني جمالك، فأتاه بمائة جمل ذكر، فختم أعناقها وقال: "لا أفقد منها وبرة إلا ضربت عنقك"، فنفَّذ المهمَّة ثم رجع وقال لموسى: "ما رأيتُ خللاً ولا فللاً، ولا رأيتُ إلا مصلِّياً أو مبتهلاً أو ناظراً في مصحف ومعداً للسِّلاح. قال: فجئته فقلت: ما أظنُّ القوم إلا منصورين. فقال: وكيف ذلك يا ابن الفاعلة؟. فأخبرته فضرب يداً على يد، وبكى حتّى ظننت أنه سينصرف، ثمَّ قال: هم والله أكرم عند الله، وأحقُّ بما في أيدينا منا، ولكن المُلك عقيم، ولو أنَّ صاحب القبر(النبي ص) نازعنا المُلك ضربنا خيشومه بالسَّيف" (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٨٠).

وأمر محمَّد بن سليمان أمير الحرب العبّاسي جيشه بالتَّعبئة، فجعل في مقدّمته ابنيه جعفراً ومحمَّداً، ومباركَ التُّركي، ومنارةَ، وحسنَ الحاجب، والحسينَ بن يقطين. ووضع أميرُ الحرب نفسَه في الميمنة، والعبّاسَ بن محمَّد بن علي وموسى بن عيسى بن علي في الميسرة، ومعاذَ بن مسلم في القلب (الطَّبري د. ت: ١٩٧/٨؛ الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٨)، وفي رواية أخرى، أنَّ منْ تولّى تدبير الحرب كان يقطين بن موسى(ت. ١٨٦هـ/٨٠٢م)[٤٤]، وجعل الأميرُ جعفرَ بن سليمان بن علي العبّاسي(ت. ١٧٤هـ/٧٩٠م) ومفضَّل الوصيف وصاعد في الميمنة، وموسى بن عيسى وحسن الحاجب ومنارة في الميسرة، ويقطين وأولاده في القلب (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٧). وأما سليمان بن أبي جعفر المنصور أمير الحجّ فذكر الطَّبريُّ (د. ت: ١٩٧/٨) أنَّه لم يشهد

---

[٤٣] عبيد الله بن قثم: تولّى حُكم الطّائف ومكَّة للمهدي منذ عام ١٦٦هـ/٧٨٣م، وأقرَّه الرَّشيد عليهما عام ١٧٠هـ/٧٨٧م (الطَّبري د. ت: ١٦٣/٨، ١٦٦، ٢٠٤، ٣٣٤، ٣٤٦).

[٤٤] يقطين بن موسى: أحد دعاة العبّاسيّين، داهية حازم شجاع، ولاه المنصور والمهدي الولايات، وقام الهادي بقتل ابنه عليِّ بن يقطين بتهمة الزَّندقة، وتوفِّي يقطين عام ١٨٦هـ/٨٠٢م (الصَّفدي ٢٠٠٠: ٢١/٢٩).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

القتال بسبب مرضٍ ألمَّ به، ولكنَّ الأصفهانيَّ (١٤١٦هـ: ٣٧٨) والمُحَلِّيَّ (٢٠٠٢: ٣٢٤/١) يؤكِّدان أنَّه شارك، وكان موقعُه في القلب.

وفي يوم التَّروية، عند صلاة فجر يوم ٨ذي الحجة ١٦٩هـ/١٠يونيو٧٨٦م تقابل الطالبيّون والعبّاسيّون (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٧)، فخطب الحسينُ في جماعته، بهدف رفع معنويّاتهم وتشجيعهم على النِّزال بشجاعةٍ وإقدام، واصطبغت خطبته بصبغةٍ دينيَّة، وبدأ بتقريع العبّاسيّين وبيان "ظُلمهم وفسقهم وفجورهم وعداوتهم لله ولرسوله، وسيرتهم في أمَّة محمَّد، وارتكابهم المحارم، وتعطيلهم الحدود، وشربهم الخمور، وارتكابهم الشُّرور، وهتكهم السُّتور، واستئثارهم بالفيء، وأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف، .. حتّى أنَّه لم يبق من الإسلام في عصرهم إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه". كما استعرض الحسينُ مظاهر الظُّلم التي تعرض لها العلويّون على أيديهم، وتطرَّق إلى مآثر أسلافه العلويّين وبطولاتهم، وذكَّر الحاضرين بالجنَّة التي وعد الله المجاهدين، ومنّاهم النَّصر، الذي إن تحقَّق فلسوف يمكِّنهم الله من حُكم البلاد والعباد، وفق ما جاء في كتاب الله وسنَّة نبيِّه، وحينها سوف تتحقَّق العدالة الاجتماعيَّة وسوف يعيش النّاس بأمان. واختتم خطبته بآيات قرآنيَّة كريمة تحثُّ على الجهاد وترغِّب فيه (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٨-٤٠).

عرْضُ الأمان على الحسين وأصحابه: قُبيل بدء المعركة عرض العبّاسُ بن محمَّد وموسى بن عيسى على الحسين وأصحابه الأمان والعفو والصِّلة (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٧)، فأبى إلا قتالهم، "أو الرُّجوع عمَّا همْ عليه من الإثم والعدوان ومعاونة الظّالمين"، وشكَّك الحسينُ بنواياهم، وذكَّرهم بغدرهم بمن اطمأنّوا إلى أمانهم في عديدٍ من المرّات. ثمَّ توجَّه أمير الحرب العبّاسيّ محمَّد بن سليمان بن علي بنفسه للقاء الحسين، وكانت أمُّ محمَّد حسنيةً- وهي زينب ابنة جعفر بن الحسن بن الحسن، فلقيه وسلَّم عليه وقال: "والله يا خال ما أشخصني إلى هذا البلد إلا الشَّفقة عليك والظَّن بك، ورجاء أن يحقن الله دمك". إلا أنَّ الحسين رفض ذلك، ثم قال محمَّد له: "اقبل نصيحتي ولا تُعَرِّض نفسك للهلكة، فإنَّ معي كتاباً قد أخذته لك من ابن عمِّك الخليفة موسى الهادي ابن محمَّد المهدي بأمانك، وجعل إليَّ أنْ أعرض عليك كل ما أحببت. فسِر إلى أيِّ بلد من البلدان شئت، وسمِّ ما شئت من الأموال والقطائع والضِّياع". فأجابه الحسين: "يا عبدَ خيزران وخالصة، أتظن أنِّي إنَّما خرجت في طلب الدنيا التي تعظِّمونها، أو للرَّغبة فيما تعرضون عليَّ من أموال المسلمين؟! ليس ذلك كما تظن، إنَّما خرجتُ غضباً لله ونصرةً لدينه وطلباً للشَّهادة، وأن يجعل اللهُ مقامي هذا حجَّة على الأمَّة. واقتديت في ذلك بأسلافي الماضين المجاهدين، لا حاجة لي في شيء ممّا عرضت عليَّ، وأنا نافذٌ فيما خرجت له، وماضٍ على بصيرتي حتى ألحق بربي" (الرّازي ٢٠٠٠: ٤٠-٤٢)، وأمر المنادي بدعوة العبّاسيّين إلى مبايعته على كتاب الله وسنَّة رسوله (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٧).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

اللقاء العسكريُّ بين الطَّرفين ونتائجه الميدانيَّة: بعد أن رفض الحسين وأصحابُه عرضَ الأمان، أمر أميرُ الحرب العبّاسي بمناوشتهم، فتمكَّن العلويّون من إلحاق الهزيمة ببعض السَّرايا العبّاسيَّة (الطَّبري د. ت: ١٩٦/٨)، وخلال ذلك كان قادةُ العبّاسيّين يصيحون: "يا حسينَ، لك الأمانُ، فيقول: الأمانَ أريد!" (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٨)، ثمَّ احتدم اللقاءُ، وأشاع أميرُ الحرب أنَّ من يأتيه برأس من العلويّين فله خمسمائة درهم (الطَّبري د. ت: ١٩٧/٨)، فثبت الحسينُ وأصحابُه وصبروا وقاتلوا، حتّى كثر القتلُ في كلا الفريقين (الرّازي ٢٠٠٠: ٤٢)، وممَّن شاركوا بفاعليَّة في المعركة ضدَّ الحسين وأنصاره يقطينُ بن موسى، وكان يصيح: "سيعلم النّاسُ اليوم، يقطين طالبيّ أو عباسيّ، فمرَّة يُقبل على عبّاس بن محمَّد فيقول: عزماً يا ابن ساداتي"، ومرة ينحرف إلى موسى بن عيسى فيقول: "قدماً يا ابن المنعمين عليَّ"، ومرة يقول لابنه عُبيد: "إيهَاً فداك أبي وأمي" (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٥). وبالمقابل، امتنع بعضُ أفراد الجيش العبّاسي عن توجيه سلاحهم أو تصويب رميهم نحو الحسين وشيعته، ومن هؤلاء عمرو بن أبي عمرو المدني، الذي تظاهر بالمشاركة خوفاً من القتل، فكان يرمي بين الهدفين، فشاهده محمَّد بن سليمان، ونهره، فقال عمرو: "والله لا أرمي ولد رسول الله(ص)؛ إنّي إنَّما صحبتك لأرمي بين يديك بين الهدفين، ولم أصحبك لأرمي المسلمين" (الطَّبري د. ت: ٢٠٣/٨).

وخلال المعركة أصيب الحسينُ بجرحٍ غائرٍ في وجهه، ما أدّى إلى انفصال قطعة من لحمه، فتنحّى جانباً وقام بدفنها، ثم تلثَّم وعاود الحرب، وعندما رأى أصحابَه يتساقطون أمام ناظريه الواحد تلو الآخر، قال لهم: "يا بني عمّي انحازوا وامضوا إلى أيِّ النَّواحي، فعسى أنْ تدركوا بثأرنا يوماً من الدَّهر، فإنّي غير مفارقهم، حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين"، فأبوا، واستمرَّت المعركة إلى أن قُتل الحسينُ وأبيد معظمُ أنصاره (الرّازي ٢٠٠٠: ٤٢-٤٣). وذكر الأصفهانيُّ (١٤١٦هـ: ٣٧٨-٣٧٩) أنَّ من تولّى قتل الحسين شخصٌ يُدعى حمّاد التُّركي، رماه بسهمٍ، فكافأه محمَّد بن سليمان مئةَ ألف درهم ومئةَ ثوب. وكان للحسين يوم قتل واحد وأربعون عاماً، وتم الاحتفاظ برأسه، أمّا جسده فدُفن بفخٍّ، في بستان الدُّليمي في الزّاهر (المُحَلِّي ٢٠٠٢: ٣٢٦/١، ٣٢٨).

وأُحصِيت رؤوس من قتلوا من أصحاب الحسين فبلغ عددُها مائةً ونيِّفاً (الطَّبري د. ت: ١٩٧/٨)، وبقيت جثثُهم ثلاثة أيامٍ في العراء، حتّى أكلتها السِّباع والطَّير (المسعودي ٢٠٠٥: ٢٧١/٣)، ومنهم: أبو الزِّفت، الذي فقئت عينُه بنشّابة (الرّازي ٢٠٠٠: ٤٣)، فتركها في عينه، وجعل يقاتل بشدَّة، فناداه محمَّد بن سليمان: "يا ابن خال، اتَّق الله في نفسك، ولك الأمان"، فرفض، ثم كسر سيفاً هنديّاً كان في يده، واستأنف هجومَه عليهم، فصاح العبّاسُ بن محمَّد بابنه عبد الله: "قتلك الله إنْ لم تقتله"، فحمل عليه عبدُ الله فطعنه، وضرب العبّاسُ بن محمَّد عنقَه بيده صبراً

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

(الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٩). ورُوي أنَّ موسى بن عيسى هو الذي ضرب عنق أبي الزّفت (الطّبري د. ت: ١٩٧/٨؛ الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٩)، ومنهم: سليمانُ بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، قتله عُبَيْدُ بن يقطين بن موسى، الذي "أتاه حجرٌ فأصاب وجهَه فأدماه شيئاً، فدعا بقوسه فأوترها"، فرمى سليمانَ وقتله (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٥). وتفيد روايةٌ أخرى أنَّ سليمانَ بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي أُخِذَ أسيراً إلى مكَّة، وهناك ضُربت عنقه، وقُتل معه عبد الله بن إسحق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي (المسعودي ٢٠٠٥: ٢٧١/٣؛ الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٦٥)، وقيل أنَّ سليمان بن عبد الله لم يُقتل؛ بل تمكَّن من الفرار إلى المغرب، ومات هناك (الصَّفدي ٢٠٠٠: ٢٤٢/١٥).

وجُرح كلٌّ من: يحيى بن عبد الله، أصيب بسبعين نشابة، وأثخن إدريس بن عبد الله حتّى أنصبغ قميصه بالدَّم (الرّازي ٢٠٠٠: ٤٣). وأمّا من نجا، ففرَّ عبر الثَّنايا الجبليَّة إلى مكَّة واندسَّ بين الحجيج (الطَّبري د. ت: ١٩٧/٨)، وفرَّ عليُّ بن محمَّد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب من إلى مصر، ولكن العبّاسيّين ألقوا القبض عليه، فسيق إلى بغداد، ومات فيها (البلاذري ١٩٩٦: ٣٥٥/٣). وأمّا إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنّى بن علي بن أبي طالب، فوصل إلى مدينة وليلى بين فاس ومكناس في المغرب الأقصى (ابن حبيب ٢٠٠١: ١٨٦؛ اليعقوبي ٢٠١٠: ٣٤٩/٢)، بمساعدةٍ من واضح المنصوري(ت. ١٧٠هـ/٧٨٧م)[٤٥]، صاحب بريد مصر، فالتفَّ البربر حوله وناصروه، وشرع ببناء دولة للأدارسة(١٧٢-٣٧٥هـ/٧٨٨-٩٨٥م) (ابن حبيب ٢٠٠١: ١٨٧؛ الطَّبري د. ت: ١٩٨/٨)، فأرسل له الهادي من يقتله، فاغتاله بالسُّم (اليعقوبي ٢٠١٠: ٣٤٩/٢؛ ابن تغري بردي ١٩٩٢: ٧٥/٢).

ونظراً للنَّتائج المأساويَّة التي تمخَّضت عنها موقعة فخ؛ فقد عُدَّت مشابهةً لنتائج كربلاء (فوزي ١٩٩٨: ١٨٥/١)، وانبرى الشّيعةُ في تمجيد قتلاها، مستندين إلى روايات نُسبت الى رسول الله(ص) ومنها أنَّه وصل ذات يوم إلى موضع فخ، فصلّى بأصحابه صلاة الجنازة، ثمَّ قال: "يُقتل هاهنا رجلٌ من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، يُنزل لهم بأكفان وحنوط من الجنَّة، تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنَّة" (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٦٦؛ المُحَلِّي ٢٠٠٢: ٣١٨/١)، وفي رواية أخرى أنَّ رسول الله بعد أن صلّى في الموضع المذكور ركعتين بكى، وعندما سُئل عن السَّبب قال: نزل عليَّ جبريلُ لمّا صلَّيت الرَّكعة الأولى فقال لي: يا محمَّد إنَّ رجلاً من ولدك يُقتل في هذا المكان، وأجرُ الشَّهيد معه أجر شهيدين (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٦٧؛ المُحَلِّي ٢٠٠٢: ٣١٩/١). ولم تخلُ بعض الرِّوايات من الخُرافة، فقيل أنَّه سُمع لمياه

---

[٤٥] واضح بن عبد الله المنصوري الخصيّ: مولى صالح بن أبي جعفر المنصور، ولِّي مصر لمدة أربعة شهور عام ١٦٢هـ/٧٧٩م، ثم ولِّي بريدها. قُتل عام ١٧٠هـ/٧٨٧م في نهاية عهد الهادي أو خلال عهد الرَّشيد (ابن الأثير ١٩٨٧: ٢٦٨/٥؛ الذَّهبي ١٩٩٠: ١٢/١٠؛ ابن تغري بردي ١٩٩٢: ٥١/٢-٥٢).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

غطفان ليلة قتل الحسين نحيبٌ على هيئة أبيات شعريَّة (المُحَلِّي ٢٠٠٢: ٣٢٨/١)، وقيل أيضاً أنَّ أفراد الجيش العبّاسي الذين حاربوا الحسين في فخ اسودَّت وجوههم، فكانوا يُعرفون من بين النّاس، فيُقال: هذا من الجيش الذين قتلوا الحسين (المُحَلِّي ٢٠٠٢: ٢٨٣/١)، وعن نصر الخفّاف، قال: "أصابتني ضربةٌ وأنا مع الحسين بن علي صاحب فخ فبرت اللحم والعظم، فبتُّ ليلتي أعوي منها، وأنا أخاف أن يجيئوني فيأخذوني إذا سمعوا الصَّوت، فغلبتني عيني، فرأيت النبيَّ(ص) وقد جاء، فأخذ عظماً فوضعه على عضدي، فأصبحت وما أجد من الوجع قليلاً ولا كثيراً" (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٨٣).

ردود فعل الهادي على نتائج الموقعة: لما بلغ والي المدينة مقتل الحسين بفخ؛ وثب على داره ودور أهل بيته ومن خرجوا مع الحسين، فهدمها وحرق نخيلها، وجعل ما لم يحرقه في الصَّوافي المقبوضة (الطَّبري د. ت: ٢٠٠/٨؛ الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٨٢). وحول موقف الخليفة الهادي وردَّة فعله على نتائج الموقعة؛ قيل أنَّه عندما وصلته أخبارها، كتب شعراً قلّل فيه من شأن الحسين وأتباعه، وأشاد بكفاءة جنوده الذين حقّقوا هذا الانتصار (الطَّبري د. ت: ٢٠٣/٨؛ المرزباني ٢٠٠٥: ٣٤١)، إلا أنَّه وبعد وصول وجوه بني العبّاس والقادة، قادمين من مكَّة المكرَّمة، وقيام يقطين بن موسى بوضع رأس الحسين بين يدي الهادي؛ أبدى استياءه من ذلك، وقال: "كأنَّكم والله جئتم برأس طاغوت من الطَّواغيت!، إنَّ أقلَّ ما أجزيكم به أنْ أحرمكم جوائزكم" (الطَّبري د. ت: ٢٠٣/٨؛ ابن الطَّقطقي ١٩٦٦: ١٩١)[٤٦]، وقيل أنه بكى، وزجر من أتوه به ووبَّخهم، وقال: أتيتموني مستبشرين كأنَّكم أتيتموني برأس رجلٍ من التُّرك أو الدَّيلم، إنَّه رجل من عِتْرَة رسول الله" (المسعودي ٢٠٠٥: ٢٧٢/٣). وذكر الأصفهانيُّ (١٤١٦هـ: ٣٨٠): لما جيء للهادي برأس الحسين، كان عنده جماعةٌ من ولد الحسن والحسين، فلم يتكلَّم أحدٌ منهم بشيء إلا الإمام موسى الكاظم[٤٧]، فعندما أُشير إلى رأس الحسين قال: "إنّا لله وإنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صوّاماً قوّاماً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله". وعلى الرغم من الموقف العاطفيِّ الذي أبداه الهادي تجاه مقتل الحسين؛ فقد أفاد البلاذريُّ (١٩٩٦: ٣٥٥/٣) أنَّه أمر بتعليق رأسه على جسر نهر دجلة.

---

[٤٦] نسب الرّازيُّ هذا القول إلى موسى بن عيسى، قاله ليقطين عندما أتاه برأس الحسين. واضاف أنَّ موسى كان وقتذاك برفقة عليّ بن يقطين وزيره (الرّازي ٢٠٠٠: ٣٦).

[٤٧] لم تكن السُّلطة العبّاسيَّة حينذاك تعلم بأنَّ موسى الكاظم هو الأب الروحيُّ لثورة الحسين، وتبيَّن ذلك من قول موسى بن عيسى لما أخذ يقرّع أهل المدينة من الطالبيّين: "والله ما يزيدكم البغي إلا ذلّة، ولو كنتم مثل ابن عمِّكم، يعني موسى الكاظم، سلمتم وكنتم مثله، فقد عرف حقَّ بني عمِّه وفضلهم عليه، فهو لا يطلبُ ما ليسَ له" (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٨١).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وسيق إلى الهادي ستَّةٌ من الأسرى، قدم بهم إليه موسى بن عيسى، من بينهم أربعة كوفيّين، فصفح عن أحدهم لأنه كان عالماً بتاريخ بني طالب، وأمر بقتل الآخرين، ومنهم عذافر بن عيسى الصَّيرفي وعليّ بن سابق القلاس الكوفي (الطَّبري د. ت: ١٩٨/٨)، ورجلٌ آخر ينحدر من نسل حاجب بن زرارة (الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٨٠). وانفرد الرّازيُّ (٢٠٠٠: ٤٦-٤٧) بالقول أنَّ الهادي قام بإحضار كلٍّ من القاسم بن محمَّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والحسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وموسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ثمَّ أمر رجالَه بنشر أعضاء القاسم بالمناشير عضواً بعد الآخر، حتّى أتوا على جميع بدنه، ثم جرّدوا لحمه عن عظامه، ثمَّ أمرَ للحسنِ ببيت مُلئ تبناً، فأُدخل ذلك البيت، ودُخِّن عليه ثمَّ سُدت عليه الأبواب، وتُرك ثلاثة أيّام، إلا أنَّه لم يمت، فاعتقد الهادي بأنَّه مسحورٌ، وحبسه مع خاله موسى بن عبد الله، ثم أُطلِق وعاش بعد ذلك أربعين عاماً، إلا أنَّه ذهب بصرُه، فكان يُقال له: حسن المكفوف.

ومن ناحيةٍ أخرى؛ وجَّه الهادي مولاه مهرويه لمعاقبة أهل الكوفة ممَّن ناصروا الحسين بن علي، وأمره بالتَّضييق عليهم (الطَّبري د. ت: ٢٠٠/٨). ونقم على موسى بن عيسى لقتْله أبي الزّفت، لأنَّه كان يرغب في أن يُؤتى به أسيراً، وأمر بقبض أمواله (الطَّبري د. ت: ١٩٨/٨؛ الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٩). وكان موسى بن عيسى قد ندم بشدَّة على ما أوقعه بالعلويّين في فخ، وخاف من عاقبة ذلك أمام الله، وفي أحد الأيّام دخل عليه الأديب ابن دأب(ت. ١٧١هـ/٧٨٧م)[٤٨]، فوجده مطرقاً حزيناً، فأنشده شعراً كان قد كتبه يزيدُ بن معاوية إلى أهل المدينة يعتذرُ فيه عن مقتل الحسين بن علي في كربلاء، فقويت نفس عيسى بما سمع (الطَّبري د. ت: ٢٠٢/٨). وغضب الهادي على مبارك التُّركي لما بلغه من تقاعسه عن لقاء الحسين، وأمر بقبضِ أمواله، وعاقبه بأن جعله سائساً لدوابِّه؛ وبقي على هذا الحال حتّى وفاة الهادي (الطَّبري د. ت: ٢٠٠/٨؛ الأصفهاني ١٤١٦هـ: ٣٧٩؛ ابن الجوزي ١٩٩٥: ٣١٠/٨). وعُدَّت موقعة فخ والنَّتائج التي تمخَّضت عنها الأساس الذي بُني عليه الصِّراع بين العبّاسيّين والعلويّين، وبخاصة الحسنيّين منهم، خلال المراحل اللاحقة.

نتائج الدِّراسة

تعود جذور الصِّراع بين مؤسَّسة الخلافة الإسلاميَّة الرَّسميَّة والعلويّين إلى العصر الأمويّ، وبخاصَّةٍ بعد تنازُل الحسن بن علي عن الخلافة لصالح معاوية بن أبي سفيان في عام الجماعة (٤١هـ/٦٦١م). وتبيَّن أنَّ هذا العام لم يكُن عام جماعة عامَّة

(٤٨) ابن دأب، عيسى بن يزيد بن بكر: أبو الوليد التَّيمي، أديبٌ وشاعرٌ حجازي، عذْب الألفاظ، عظيم الهيبة، وكان من أكثر النُّدماء قُرباً من الهادي (الجاحظ ١٩١٤: ١١٦).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

المسلمين؛ بل عام بني أميَّة بقيادة معاوية، الذي ظهرت نيَّته المسبقة لخلافة عليٍّ بن أبي طالب بعد مقتله عام ٤٠هـ/٦٦٠م باتِّفاق مع الحسن أو بدونه، بدليل أنَّه تسمّى بأمير المؤمنين فور سماعه بمقتل علي. وتمخَّض عن ذلك انهيار نظام الشّورى وحلول القبيلة محلَّ سيادة الأمَّة، فألغي دور أهل الحلِّ والعقد في اختيار الخليفة، وتحوَّلت الخلافة إلى مُلكٍ وراثيِّ جبريٍّ في بني أميَّة، الذين ادَّعوا أنَّهم يستمدّون شرعيَّة حكمهم من الله، واستندوا إلى هذه القاعدة في مواجهة معارضيهم. ومن ناحية أخرى؛ فقد أظهر الحسن بن علي حكمةً كبيرةً وحرصاً لافتاً على حقن دماء المسلمين من خلال تنازله عن الحُكم وتجنيبهم ويلات الحرب.

أدى فشل ثورة زيد بن علي ضدَّ الأمويّين عام ١٢٢هـ/٧٤٠م وتقاعُس الحُسينيين عن مواجهة السُّلطتين الأمويَّة والعبّاسيَّة ومهادنتهما إلى ظهور فرقة الزَّيديَّة التي أتاحت لأبناء الحسن بن علي الفرصة لتولّي الإمامة، بعد أن كان هذا المنصب مقتصراً على أبناء الحسين، ما أدّى إلى صعود الحسنيّين إلى مسرح النِّزاع مع العباسيّين.

استغلَّ بنو العباس الحسنيّين ووظَّفوهم لخدمة دعوتهم السِّريَّة التي أفضت إلى قيام الدَّولة العبّاسيَّة، ثمَّ تنكَّر بنو العبّاس لحقوق الحسنيّين، ضاربين بعرض الحائط مقرَّرات اجتماع الأبواء عام ١٢٦هـ/٧٤٤م، التي تمَّت بموجبها مبايعة محمَّد بن عبد الله المحض الحسني، وعندما استبعده العبّاسيّون ثار مع أخيه إبراهيم في وجههم خلال عهد الخليفة أبي جعفر المنصور.

مارس العبّاسيّون وولاتُهم في الأمصار سياسة متشدِّدة تجاه الحسنيّين في عهديِّ أبي جعفر المنصور والهادي، فشكَّلت أحد أهمّ الأسباب التي دفعتهم إلى الثّورة في وجه الدَّولة، إلا أنَّ ثوراتهم، على ما يبدو، قد اصطبغت بطابعٍ إصلاحيٍّ اجتماعيٍّ وتمرُّدٍ على الظُّلم، أكثر من كونها ذاتَ طابعٍ سياسيٍّ بحت؛ إذ لم يكُن الحسنيّون يتوقَّعون التَّغلُّب على الدَّولة العبّاسيَّة والحلول مكانها. وعلى الرُّغم من ذلك، فقد كان للدَّوافع والأهداف السِّياسيَّة حضوراً لافتاً في الثَّورات المذكورة.

يظهر من خلال النُّصوص التّاريخيَّة أنَّ الإمام موسى الكاظم لم يكن واثقاً من حتميَّة انتصار الحسين بن علي على العبّاسيّين عام ١٦٩هـ/٧٨٦م، وتوقَّع بأنَّ ثورته ستفشل، ولم يشارك فيها بشكلٍ علنيٍّ ومباشر، حتّى لا يحمِّله العبّاسيّون المسؤوليَّة عنها كما حمَّل الخليفةُ الأمويُّ هشامُ بن عبد الملك جدَّه الباقر المسؤوليَّة عن ثورة زيد، وحمَّل المنصورُ أباه المسؤوليَّة عن ثورة النَّفس الزَّكيَّة. ومن أهمِّ أسباب فشل ثورة الحسين بن علي الضُّغوط التي مارسها والي المدينة المنوَّرة العبّاسيّ على الحسنيّين، ما أدّى الى التَّعجيل بها قبل استكمال التَّحضيرات المناسبة، فضلاً عن ضعف التَّنسيق مع الزَّيديّين، وتخاذل الكوفيّين، والتَّفاوُت في موازين القوى البشريَّة بين الطَّرفين، وأخيراً؛ فإنَّ اختيار المدينة ومكة للثورة لم يكن موفَّقاً، لعدم صلاحيَّتهما

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

للثورة بسبب مكانتهما الدّينيَّة. ومن ناحيةٍ أخرى: تبيَّن أنَّ الثَّورات العلويَّة، وبخاصَّةٍ الحسنيَّة التي اعتمدت على أهل الكوفة كان مصيرها الفشل؛ بسبب تخاذُلهم عن نُصرة أصحابها في الوقت المناسب.

نجحت السِّياسة العبّاسيَّة تجاه الحسنيّين في تحجيم دورهم السِّياسيِّ بعد موقعة فخ، لصالح أبناء عمومتهم الحسينيّين الذين استمرّوا في أداء دورهم الفكريِّ والسِّياسيِّ في الفترات اللاحقة.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

مصادر الدِّراسة

القرآن الكريم
ـ ابن الأثير، علي بن محمَّد بن محمَّد(ت. ٦٣٠هـ/١٢٣٣م): الكامل في التّاريخ، ١١جزء، تحقيق: عبد الله القاضي، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٧م.
ـ إسماعيل، محمود: مذاهب إسلاميَّة في الميزان، الحركات السريَّة في الإسلام، (د. ط)، بيروت، دار القلم للطِّباعة والنَّشر، ٢٠١٦م.
ـ الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين(ت. ٣٥٦هـ/٩٦٧م):
مَقاتل الطّالبيّين، تحقيق: أحمد صقر، ط٢، منشورات الشّريف الرَّضي، قُم-إيران، ١٤١٦هـ.
كتاب الأغاني، ٢٦جزء، تحقيق: إحسان عباس، إبراهيم السَّعافين، بكر عبّاس، ط٣، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م.
ـ بدوي، عبد المجيد: محنة الحسنيّين في عهد أبي جعفر المنصور، مجلَّة كليَّة دار العلوم، ع٨، (١٣٥-١٥٦)، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.
ـ البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت. ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٤أجزاء، تحقيق: مصطفى السقّا، (د. ط)، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).
ـ البلاذري، أحمد بن يحيى(ت. ٢٧٩هـ/٨٩٢م): أنساب الأشراف، ١٣جزء، تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، ط١، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر، بيروت، ١٩٩٦م.
ـ ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف(ت. ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النُّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦جزء، تحقيق: محمَّد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٢م.
ـ التَّنوخي، الحسن بن علي(ت. ٣٨٤هـ/٩٩٤م): الفرج بعد الشِّدَّة، ٥أجزاء، تحقيق: عبّود الشّالجي، (د. ط)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.
ـ الرّازي، أحمد بن سهل (ت. ٣١٠هـ/٩٢٢م): أخبار فخ وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله، تحقيق: عبد الرَّقيب حجر، ط١، مركز أهل البيت للدِّراسات الإسلاميَّة، صعدة –اليمن، ٢٠٠٠م.
ـ الجاحظ، عمرو بن بحر(ت. ٢٥٥هـ/٨٦٩م): كتاب التّاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط١، المطبعة الأميريَّة، القاهرة، ١٩١٤م.
ـ الجهشياري، محمَّد بن عبدوس(ت. ٣٣١هـ/٩٤٣م): كتاب الوزراء والكتّاب، تحقيق: مصطفى السَّقا إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي(ت. ٥٩٧هـ/١٢٠١م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمَّد ومصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٥م.
ـ ابن حبيب، أبو جعفر محمَّد بن حبيب بن أميَّة(ت. ٢٤٥هـ/٨٥٩م):
كتاب المحبَّر، تحقيق: إ. ليختن، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د. ت).
أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهليَّة والإسلام، تحقيق: سيِّد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠١م.
ـ ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله(ت. ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد أبو الفضل ابراهيم، (د. ط)، دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٣م.
ـ ابن حزم الأندلسي، علي بن سعيد(ت. ٤٥٦هـ/١٠٦٤م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، (د. ط)، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).
ـ الحسني، أحمد بن علي بن الحسين(ت. ٨٢٨هـ/١٤٢٥م): عمدة الطّالب في أنساب آل أبي طالب، ط١، طبعة لكهنو، (د. م)، الهند، (د. ت).
ـ الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي(ت. ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، ٧أجزاء، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
ـ الحميري، محمَّد عبد المنعم(ت. ٩٠٠هـ/١٤٩٥م): الرَّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عبّاس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
ـ ابن خلدون، أبو زيد، عبد الرَّحمن بن محمَّد (ت. ٨٠٨هـ/١٤٠٦م):
مقدِّمة ابن خلدون، جزءان، تحقيق: عبد الله الدَّرويش، ط١، دمشق، دار يعرُب، ٢٠٠٤م.
تاريخ ابن خلدون المسمّى العبر، ٧أجزاء، تحقيق: خليل شحادة، (د. ط)، دار الفكر للطّباعة والنَّشر، بيروت، ٢٠٠٠م.
ـ ابن خلِّكان، شمس الدين أحمد بن محمَّد(ت. ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٧أجزاء، تحقيق: إحسان عبّاس، (د. ط)، دار صادر، بيروت، (د. ت).
ـ ابن خيّاط، خليفة بن أبي هبيرة(ت. ٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خيّاط، تحقيق: د. أكرم العمري، ط٢، دار طيبة، الرِّياض، ١٩٨٥م.
ـ الذَّهبي، شمس الدين محمَّد بن أحمد(ت. ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٣جزء، تحقيق: عمر عبد السَّلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م.
سير أعلام النبلاء، ٢٩جزء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١١، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ـ الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.
ـ السّاعدي، محمَّد: الحسنيون في التّاريخ، الجزء الأول، القسم السِّياسي، (د. ط)، مطبعة النَّجف، النَّجف، ١٩٥٦م.
ـ السَّمرقندي، محمَّد بن الحسين (ت. ٩٩٦هـ/١٥٨٨م): تحفة الطّالب بمعرفة من ينتسب إلى عبد الله وأبي طالب، تحقيق: الشّريف الحسني، (د. ط)، الخزانة الحسنيَّة، (د. ت).
ـ الشَّهرستاني، محمَّد بن عبد الكريم(ت. ٥٤٨هـ/١١٥٣م) الملل والنحل، ٣أجزاء، تحقيق: أحمد فهمي محمَّد، ط٢، دار كتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٢م.
ـ الصَّفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت. ٧٦٤هـ/١٣٦٣م): الوافي بالوفيّات، ٢٩جزء، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط١، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
ـ الطَّبري، محمَّد بن جرير(ت. ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرُّسل والملوك، ١٠أجزاء، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).
ـ ابن الطَّقطقي، محمَّد بن علي بن طباطبا(ت. ٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السُّلطانيَّة والدُّول الإسلاميَّة، دار صادر، د. ط، بيروت، ١٩٦٦م.
ـ طقوش، محمَّد سهيل: تاريخ الدولة العبّاسيَّة، ط٧، دار النَّفائس، بيروت، ٢٠٠٩م
ـ الطّوسي، محمَّد بن الحسن (ت. ٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، ج٦، تحقيق: حسن الخرسان، (د. ط)، طهران، دار الكتب العلميَّة، ١٣٦٥هـ.
ـ ابن عساكر، علي بن الحسين (ت. ٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ مدينة دمشق، ج١٨، تحقيق: محبّ الدين العمري، (د. ط)، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ١٩٩٥م.
ـ عُلبي، أحمد سهيل: العهد السِّري للدَّعوة العبّاسيَّة، ط٢، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٠م..
ـ الغامدي، أحمد بن سعد: براءة آل البيت ممّا نسبته إليهم الرِّوايات، ط١، جامعة أم القرى، مكَّة المكرَّمة، ١٤٣١هـ.
ـ فوزي، فاروق عمر: الخلافة العبّاسيَّة، عصر القوَّة والازدهار، جزءان، ط١، دار الشُّروق للنَّشر والتَّوزيع، عمّان، ١٩٩٨م.
ـ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدَّينوري(ت. ٢٧٦هـ/٨٨٩م): المعارف، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف، الاسكندريَّة، (د. ت).
ـ الليثي، سميرة مختار: جهاد الشّيعة، (د. ط)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٦م.
ـ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ط٣، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م.
ـ مجهول: العيون والحدائق وأخبار الحقائق، (د. ط)، مكتبة المُثنّى، بغداد، ١٨٧١م.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ـ المحلّي، حميد بن أحمد (ت. ٦٥٢هـ/١٢٥٤م): الحدائق الورديَّة في مناقب أئمَّة الزَّيديَّة، جزءان، تحقيق: المرتضى بن زيد الحسني، مكتبة مركز بدر العلمي والثَّقافي، ط١، صنعاء، ٢٠٠٢م.
ـ المرزباني، محمَّد بن عمران(ت. ٣٨٤/٩٩٤م): معجم الشُّعراء، تحقيق: فاروق اسليم، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م.
ـ المسعودي: علي بن الحسين (ت. ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذَّهب ومعادن الجوهر، ٤أجزاء، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصريَّة، بيروت، ٢٠٠٥م.
ـ مسكويه، أحمد بن محمَّد(ت. ٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ٧أجزاء، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٢م.
ـ الهامي، محمَّد: العبّاسيّون الأقوياء، ط١، مؤسَّسة اقرأ، القاهرة، ٢٠١٣م.
ـ الهيتمي، أحمد بن محمَّد(ت. ٩٧٤هـ/١٥٦٦م): الصَّواعق المحرقة على أهل الرَّفض والضَّلال والزَّندقة، جزءان، تحقيق: عبد الرَّحمن التُّركي وكامل الخرّاط، ط١، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ١٩٩٧م.
ـ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر(ت. ٢٩٢هـ/٩٠٥م): تاريخ اليعقوبي، جزءان، تحقيق: عبد الأمير مهنّا، ط١، دار الأعلمي، بيروت، ٢٠١٠م.

ISSN : *2537-0421* eISSN : *2537-043X*